المولى الغريب

مسلم بن عقيل عليه السلام

وقائع السفارة

الجزء السابع

ناصرة سفير الحسين عليه السلام طوعة الكنينة

الخاتمة - مختصر في وقائع السفارة

تأليف

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

مجموعة الدرة

المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

المجموعة الكاملة

✍ السيّد علي جمال أشرف الحسيني

أشرف الحسيني ، سيد علي
العنوان : المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ، وقائع السفارة ـ المجموعة الكاملة ج ٧
السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني
مشهد : إعتقاد ما ، قم : مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التخصّصيّة
٢٩٨ ص . الطبعة الأولى . ١٤٣٦ق = ١٣٩٤ش = ٢٠١٥ م ٨ أجزاء . المجلّد السابع .
طبعت المجموعة كأجزاء متفرقة من سنة ١٤٣٠ إلى سنة ١٤٣٥ هـ ق.
ISBN : ٩٧٨ - ٦٠٠ - ٧٧١٢ - ٣٨ - ٢ ISBN : ٩٧٨ - ٦٠٠ - ٧٧١٢ - ٢٩ - ٠ ج ١ دورة
ج ١. مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير ـ قصّة التطيّر. ج ٢ . وقائع دخول الكوفة.
ج ٣. قصّة معقل ـ قصّة محاولة اغتيال ابن زياد. ج ٤. معركة القصر.
ج ٥. بين المسجد الأعظم ودار طوعة ـ الحرب الأخيرة. ج ٦. وقائع الشهادة.
ج ٧. ناصرة سفير الحسين عليه السلام ـ الخاتمة (مختصر في وقائع السفارة).
ج ٨. أولاد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام
الفهرسة طبق نظام فيپا . المصادر بالهامش .
١. مسلم بن عقيل عليه السلام ، ٦٠ هـ ق ٢. واقعة كربلاء ٦١ هـ ق
٣. الحسين بن علي عليه السلام ، الإمام الثالث ، ٤ ـ ٦١ هـ ق ـ الأصحاب
الإيداع في المكتبة الوطنية :
١٣٩٤، ٥٧ ح ٥ م/٤٢/٤ Bp • ٢٩٧ / ٩٥٣٧ • ٣٨٨١٧٥٠

الطبعة : الأولى ، ذوالحجّة ١٤٣٦ هـ ق
المطبعة : ذاكر
الكمّيّة : ٥٠٠ نسخة

مركز التوزيع :
قم : شارع چهارمردان ، فرع ٦ رقم ١٥٣ +٩٨ ٩٣٦٩٨٩٤٤٧٢
مشهد : تقاطع شهداء ، شارع بهجت ، نشر إعتقاد ما (رستگار) +٩٨ ٩٣٥٢٢٢٤٦٢٩
تهران : سوق السلطاني ، رقم ٩٩ ، دار الكتب الإسلاميّة +٩٨ ٢١٥٥٦٢٧٤٤٩
البريد الالكتروني للمؤلف : saliashraf@hotmail.com

مكتبة الإمام الحسين التخصصية
للنشر والتوزيع
ketabashura@hotmail.com

مكتبة الرباب الحسينية

مسلم بن عقيل عليهما السلام

وقائع السفارة

الجزء السابع

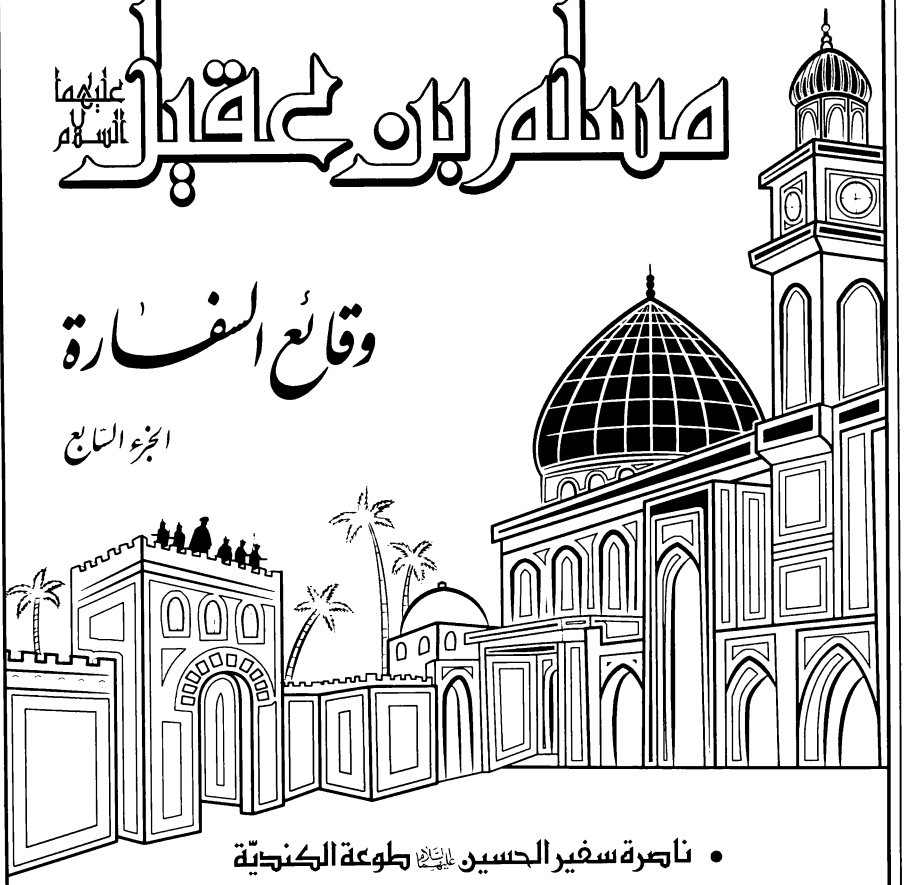

- ناصرة سفير الحسين عليهما السلام طوعة الكنديّة
- الخاتمة (مختصر في وقائع السفارة)

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

• الفهرس الإجمالي

• ناصرة سفير الحسين عليه السلام طوعة الكِنديّة •

اسمها ١٣
نسبها ونسبتها ١٧
ولاؤها ٢٥
زوجها ٣١
عمرها ٣٧
محلّتها ٤١
صفة الدار ٤٩
سبب وقوفها على الباب ٥٣
كيف حصل اللقاء؟ ٦١
حوار الباب ٦٧
وَلدها ٧٩
موقفها ٨٩
دارها ساحة حرب ١١٣
موقف المولى عليه السلام حينما علم بوصول الخيل والرجال ١٢٣
موقف طوعة ١٣١
دعاء المولى عليه السلام وبشارته لها ١٣٩
خاتمتها ١٤٥
قالوا في طوعة ١٤٩
موادّ البحث ١٥٣

• الخاتمة •

مختصر في وقائع السفارة ٢٠٣
مهمّة مسلم عليه السلام ٢٧٧

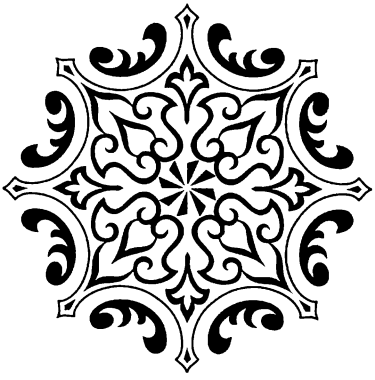

ناصرة سفير الحسين عليه السلام

طوعة الكِنديّة

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمّد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين أبد الآبدين.

أمّا بعد:

قد تناولنا في دراسات سابقة بعض المفاصل المهمّة في تاريخ حياة مولانا الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام من قبيل: «**قصّة شراء والدته**»، و«**كونه عليه السلام ثائراً أم سفيراً**»، و«**قصّة التطيّر**»، و«**قصّة معقل**»، و«**قصّة اغتيال ابن زياد في بيت هاني بن عروة رضي الله عنه**»، و«**معركة القصر**» وحركته «**بين المسجد الأعظم ودارطوعة**»، و«**الحرب الأخيرة**»، و«**وقائع الشهادة**»، و«**أولاد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهم السلام**».

وها نحن نحاول دراسة حياة المرأة التي نالت شرف نصرة المولى

الغريب عليه السلام، واقترن اسمها باسم البطل الهاشميّ مسلم بن عقيل عليهما السلام، من خلال موقفها الذي وقفته في خدمة المولى الغريب عليه السلام ونصرته في ذلك اليوم العصيب.

فوقفت صابرة محتسبة وحيدة فريدة أمام الجنود المدجّجين الذين يحملون أكداساً من الأسلحة والنيران، وهي تناصر المولى الغريب عليه السلام الذي كان يقاتل وحده بلا ناصر ولا أعوان، وقد أخذته الجراحات، وشخبت الدماء من بدنه الشريف تنزف نزفاً، وهم يهابونه ويرهبونه، ويتخوّفون من الاقتراب منه، فيظنّون أنّهم يستطيعون أن يخدعوه بأمان زائف صفيق غادر، فيأبى الموعود بدرجات الشهادة العليا إلّا أن يقاتل فيقتل حرّاً، ويرفض الموت البارد على الفراش إذا قبل الأمان وصدقوا في إنجاز وعدهم، فيكرّ عليهم كرّات حيدريّة، ويهجم عليهم هجمات حسينيّة، فلا يدنو منه أحد رغم كثرتهم ووحدته، حتّى طعنوه طعنة غادرة أردته إلى الأرض صريعاً، وهو في هذه الحال تفيض عيونه التي جفّف مآقيها الظمأ دموعاً على الإمام غريب الغرباء وسيّد الشهداء الحسين عليه السلام ...

* * * * *

كانت هذه الدراسة متفرّقة ضمن الدراسات الأخرى في حياة المولى الغريب عليه السلام، فجمعناها في موضع واحد مع بعض الإضافات والتغيير،

لعلّها تساهم في رفع شيء من الغموض الذي يحيط بشخصيّة هذه المرأة الصالحة، إذ لم نجد ـ حسب فحصنا ـ دراسة مستقلّة وافية عنها.

* * * * *

لم يحدّثنا التاريخ عن طوعة، سوى بعض الإشارات المتفرّقة هنا وهناك في صفحات الكتب ...

ويمكن أن نتصيّد بعض ما ورد عنها في منثور الصفحات..

وبالرغم من قلّة المتون وشحّة النصوص التاريخيّة التي تذكر هذه المرأة العفيفة، فإنّنا حاولنا قراءة النصوص من زوايا مختلفة، ولحاظات متعدّدة، لاستكشاف ما يمكن استكشافه من تعبيرات المؤرّخين، على أمل أن يوفّق الله أهل العلم والفضل لتحرّي التاريخ ومسحه وتزويدنا بما هو أتمّ وأنفع.

هذا، وقد تحرّينا فيما كتبنا سبيل الاحتياط، وحاولنا استكشاف المواقف، وقصدنا خدمة أهل البيت عليهم السلام، وعزمنا على الدفاع عن حريمهم وقداستهم، وكلّ ما ينسب إليهم، فإن وفّقنا في ذلك فهو فضلهم ومنّهم وفيضهم وبركاتهم، وإلّا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر من أحسن عملاً، إنّه عفوّ جواد كريم، وهو نعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد.

اللّهمّ ارزقنا زيارة مولانا الغريب الحبيب ما أبقيتنا واحشرنا معه،

وعرّف بيننا وبينه وبين رسولك وأوليائك في الجنان.

اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وتوفّنا على الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية لعلي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليهما ـ والأئمّة من ولده والبراءة من أعدائهم.. (١).

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

٢٢ / ٧ / ١٤٣٣

---

(١) انظر: المزار لابن المشهدي: ١٧٧، بحارالأنوار: ٩٧ / ٤٢٨، زيارة المولى مسلم ابن عقيل عليه السلام.

تذكيرٌ مهم

تضطرّنا ضرورات البحث إلى ذكر النصوص التي ذكرها المؤرّخون، وقد ناقشناها في دراساتنا السابقة عن المولى الغريب عليه السلام، ووقفنا معها طويلاً في بعض الأحيان، من قبيل «التلدّد» و«الاستجارة بطوعة»، و«الأمان»، و«الهرب!»، وغيرها من المصطلحات والألفاظ والمواقف التي ربما تكون غير مؤدّبة وشائنة أحياناً.

فإذا ذكرناها في ثنايا هذا البحث من دون تعليق أو مناقشة، فلا يعني إقرارنا بها، أو قبولها، وإنّما اعتمدنا على المناقشات السابقة، فأعرضنا عن الإعادة، التزاماً بوحدة الموضوع، وتجنّبا للإعادة والإطالة والتكرار.

اسمها

اسمها: «طوعة» (١).

والطَّوْعُ: نَقِيضُ الكره، طاعَه يَطُوعُه وطاوَعَه، والاسم الطَّواعةُ والطَّواعِيةُ.

ورجل طَيِّعٌ أَي طائِعٌ، والمُطاوَعةُ: الموافقة.

ويقال: فلان طَوْعُ المكارِهِ، إِذا كان معتاداً لها مُلَقًّى إِيّاها، وفرس طَوْعُ العِنانِ: سَلِسُه، وناقة طَوْعةُ القِياد: لَيِّنة لاتُنازِعُ قائِدَها (٢).

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ٥ / ٤٦١، أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٥، تجارب الأمم: ٢ / ٥٠، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٠، وغيرها ...

(٢) انظر: لسان العرب مادّة «طوع».

وقد كانت هذه الحرّة طوع المكاره في رضا الله ودفاعاً عن الحقّ، وطوعة القياد لسفير إمام زمانها لم تأخذها في الله لومة لائم، ولا تهديد طاغية غاشم.

* * * * *

هذا هو اسمها على المشهور، بل المتّفق عليه، بيد أنّ بعض المصادر لم تنصّ على اسم طوعة، وإنّما ذكرتها بعنوان امرأة من دون تحديد لاسمها، من قبيل:

الطبري في إحدى رواياته، قال:

«فخرج مسلم فدخل داراً من دوركندة» (١)..

وقال **ابن حبّان في الثقات:**

«فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده، فرأى امرأة على باب دارها، فاستسقاها ماءاً، وسألها مبيتاً، فأجابته إلى ما سأل وبات عندها» (٢).

وقال **الطريحي** رحمه الله **في المنتخب:**

«قال الناقلون: لمّا وصل خبر هانئ إلى مسلم، خرج من الدار [دار هانئ] هارباً حتّى انتهى إلى الحيرة! فأضافته امرأة هناك

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٢) الثقات لابن حبّان: ٢ / ٣٠٨، السيرة النبويّة: ٥٧.

بعد ما سألته عن حاله وقصّته، فلمّا أدخلته الدار أكرمته وقدّمت إليه المأكول، فأبى عن ذلك، لما به من الوجل والألم» (١)!!

(١) المنتخب: ٢ / ٤٢٥.

نسبها ونسبتها

لم يسجّل لنا المؤرّخ نسب طوعة وانتمائها العائليّ، وقد بخل علينا حتّى باسم أبيها، وربما كان ذلك لأحد الأسباب التالية:

السبب الأوّل: الظروف الخاصّة

إنّ طوعة كانت امرأة خفرة وحرّة غير برزة، وكان هذا الموقف المشرّف كافياً لإثارة فضول المؤرّخ والرواي الذي يخوض في السفاسف والتوافه أحياناً، ويلاحق بعض تصرّفات النساء الساقطات والبغايا الرخيصات، ويسجّل الشارد والوارد عنهنّ، وفي كتاب **الأغاني لأبي الفرج** نماذج كثيرة لهذا القول.

غير أنّه عمل هنا ما يعمله مع الطيّبين، فبخسها حقّها وقصّر معها، وأزعجه متابعتها، تماماً كما فعل مع الكثير من الطيّبات الطاهرات، من

قبيل الصدّيقة الصغرى زينب الحوراء وأخواتها ونسائها، وزوجة سيّد الوصيّين وأمير المؤمنين وأمّ حامل لواء الحسين عليه السلام، أمّ البنين عليها السلام، وكذا الكثير الكثير.

وسنقتصر هنا على ذكر بعض الأمثلة الواضحة من أيّام القيام الحسينيّ، لتكون شاهداً على أنّ المؤرّخ لا يرصد النساء اللواتي وقفن مع الحقّ ويلهو عنهنّ عامداً أو مقصّراً أو قاصراً أحياناً، لظروفهنّ الخاصّة وحشمتهنّ واختفائهنّ خلف أستار الخدور، قبل وبعد اتّخاذ الموقف الذي يخلّد أسماءهنّ، ويضطرّ المؤرّخ لذكرهنّ..

المثال الأوّل: زوجة علي بن مظاهر الأسديّ:

روي أنّ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام جمع أصحابه ليلة العاشر، وكلّمهم وأذن لهم بالانصراف، فأبوا إلّا أن ينصروه ويفدوه بالأرواح والأبدان، وأن يدافعوا عن حرم الله وحرم رسوله ما دام قوائم سيوفهم بأيدهم، وما دام فيهم عرق ينبض وعين تطرف، فكشف لهم سيّد شباب أهل الجنّة عن مواقعهم في الجنّة، وأراهم قصورهم وحورهم ثمّ قال:

«ألا ومن كان في رحله امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد، فقام عليّ بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيّدي؟

فقال عليه السلام: إنّ نسائي تُسبى بعد قتلي وأخاف على نسائكم من السبي.

فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته، فقامت زوجته إجلالاً له، فاستقبلته وتبسّمت في وجهه، فقال لها: دعيني والتبسّم.

فقالت: يا ابن مظاهر! إنّي سمعت غريب فاطمة خطب فيكم، وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة، فما علمت ما يقول؟!

قال: يا هذه، إنّ الحسين عليه السلام قال لنا: ألا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني عمّها، لأنّي غداً أقتل ونسائي تُسبى.

فقالت: وما أنت صانع؟

قال: قومي حتّى ألحقك ببني عمّك بني أسد.

فقامت ونطحت رأسها في عمود الخيمة وقالت: والله ما أنصفتني يا ابن مظاهر!

أيسرّك أن تُسبى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا آمنة من السبي؟

أيسرّك أن تُسلب زينب إزارها من رأسها وأنا أستتر بإزاري؟

أيسرّك أن تذهب من بنات الزهراء أقراطها وأنا أتزيّن بقرطي؟

أيسرّك أن يبيضّ وجهك عند رسول الله ويسودّ وجهي عند فاطمة الزهراء؟ والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء.

فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام وهو يبكي، فقال له الحسين عليه السلام: ما يبكيك؟

فقال: سيّدي أبت الأسديّة إلّا مواساتكم.

فبكى الحسين عليه السلام وقال: جزيتم منّا خيراً» (١)..

ما أعظم موقفها، وأقوى شكيمتها، وأثبت جنانها، وأشدّ يقينها، وأجمل صنيعها.. مثل هذه اللبوءة الوفيّة، لايحدّثنا التاريخ عن نسبها أكثر من أنّها أسديّة!

المثال الثاني: دلهم زوجة زهير بن القين

دلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القين صاحب ميمنة الإمام الحسين عليه السلام.

ورد اسمها في بعض المصادر «دلهم بنت عمرو»، وفي بعضها «ديلم بنت عمرو».

ولم نجد في كتب الرجال والتاريخ لها أيّ ذكر إلّا بعد أن جاء رسول الحسين عليه السلام يدعو زهيراً.

بيد أنّ موقفها الذي سجّله التاريخ بكلّ عزّ وافتخار جعلها في رتبة النساء المميّزات، وكشف عن عمق ولائها، ومعرفتها بالحقّ، وأدبها

---

(١) معالي السبطين للحائري: ١ / ٣٤٢، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ٣ / ١٣٥.

الرفيع في التعامل مع إمامها وزوجها (١).

المثال الثالث: المرأة من آل بكربن وائل

روى حميد بن مسلم قال:

«رأيت امرأة من بني بكربن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمربن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام فسطاطهنّ، وهم يسلبونهنّ، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت:

يا آل بكربن وائل ! أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟! لاحكم إلّا لله، يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأخذها زوجها وردّها إلى رحله» (٢) ...

أرأيت الحميّة والغيرة والشجاعة والوعي العميق؟!

تخرج امرأة في معسكر الأعداء.. تحمل سيفاً! تريد أن تذبّ عن عرض رسول الله صلى الله عليه وآله، وترفع شعاراً واعياً ينمّ عن عميق معرفتها وبعد نظرها.. الثأر ثأر النبيّ صلى الله عليه وآله.. العيال عيال النبيّ صلى الله عليه وآله.. الخيام خيام النبيّ صلى الله عليه وآله.. العرض عرض النبيّ صلى الله عليه وآله.. ناموس النبيّ صلى الله عليه وآله.. حرمة

---

(١) انظر للمزيد: كتاب «زهير بن القين علويّ خرج يتلقّى الحسين عليه السلام» للمؤلّف.

(٢) اللهوف للسيّد ابن طاووس: ١٣٠، مثير الأحزان لابن نما: ٧٧، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٥ / ٥٧.

النبيّ صلى الله عليه وآله..

ثم نرى المؤرّخ لايجود لنا حتّى باسمها، أو اسم زوجها.. رحمها إذ استصرخت واستجاشت آل بكربن وائل فعرفنا انتماءها..

ولم يقتصر الأمر على النساء فقطّ، بل شمل الرجال والمصابيح التي أنارت الدنيا والآخرة، نذكر لذلك مثلاً واحداً:

المثال الرابع: الأسديّ الذي كان ينتظر الحسين عليه السلام في كربلاء

روى **ابن عساكر في تاريخ دمشق** مسنداً عن العريان بن الهيثم قال:

«كان أبي يتبدّى، فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين عليه السلام، فكنّا لانبدو إلّا وجدنا رجلاً من بني أسد هناك!

فقال له: إنّي أراك ملازماً هذا المكان؟

قال: بلغني أنّ حسيناً يُقتل ها هنا، فأنا أخرج لعلّي أصادقه فأقتل معه.

فلمّا قتل الحسين عليه السلام قال أبي: انطلقوا ننظر هل الأسديّ فيمن قُتل؟

وأتينا المعركة، فطوّفنا، فإذا الأسديّ مقتول» (١).

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٤ / ٢١٦ قال محقّق الكتاب: الخبر نقله ابن العديم في بغية الطلب: ٦ / ٢٦١٩.

المنتظر الذي أدرك ما أمّل.. سكن البرّيّة، واعتزل العمران والبشريّة، واختار تحمل الهجير والرمضاء والفيافي والصحراء منذ زمن بعيد انتظاراً لنصرة سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام وسبط خير البريّة صلى الله عليه وآله والفوز بالشهادة معه! إنّه وجود مقدّس يعدّ استثناءاً مشرقاً ومشرّفاً في تاريخ البشر.. لم يذكروا لنا حتّى اسمه؟!

والأمثلة على ذلك في قيام سيّد الشهداء عليه السلام فقطّ كثيرة كثيرة جدّاً تتّسع لكتاب كبير، مثل الإخوة الأربعة من اليمن الفتيان الطوال كالنخلات أصحاب المعجزة التي أظهرها لهم أمير المؤمنين عليه السلام في أختهم (١)..

وابن أخ أسيد بن حذيفة، وأسد الكلبيّ، وشهداء الحملة الأولى، والرجال الذين التحقوا بمعسكر التوحيد ليلة العاشر من المحرّم، وهكذا.. فلا نطيل.

فمن المتوقّع أن لا يسعفنا التاريخ بتفاصيل نسب «طوعة»، أو تفاصيل عن حياتها قبل وبعد موقفها.

السبب الثاني: كونها أمة

كان الموالي من غير العرب ممتهنين اجتماعيّاً لا يقام لهم وزن ولا

---

(١) انظر تفصيل قصّتهم في نوادر المعجزات للطبري الشيعي: ٣٠.

يحسب لهم حساب ضمن الأعراف الجاهليّة السائدة.. فهم لا يهتمّون بأسمائهم وأنسابهم، وغالباً ما يغيّرون أسماءهم إلى أسماء يحبّونها ويتفأّلون بها، ولا يعدّونهم في المحاربين والقتلى إذا وقعت معركة بينهم، ويحسب كلّ مولى على سيّده، إلّا إذا كان المولى له ميزة وخصوصيّة ترفعه إلى صفّ الأحرار بالاهتمام.

فإذا كانت «طوعة» مولاة كما في بعض المصادر، فمن الطبيعيّ أن لا يعرف لها نسب ولا عشيرة ضمن حسابات ذلك الزمان.

* * * * *

المهمّ! إن أغفل التاريخ نسب طوعة لأيّ سبب كان، فقد كان لها موقفها في الكوفة مع المولى الغريب عليه السلام حسباً ونسباً جعلها مفخراً لأهل الحفاظ والغيارى والعظماء..

ولاؤها

اختلفت المصادر في بيان ولاء طوعة وانتمائها، ويمكن أن نقسّم اختلافهم إلى أقوال:

القول الأوّل: من حرائر كندة

تفيد المصادر القديمة أنّها كانت من كندة من دون الإشارة إلى الولاء، ومفاد عبارة بعضهم أنّها كانت من حرائر كندة لا من مواليهم.

قال **ابن سعد والذهبي:**

«.. حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة» [1]..

وقال **ابن أعثم الكوفي في الفتوح:**

---

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات: ٦٦، سير أعلام النبلاء عن الطبقات: ٣ / ٢٩٩.

«حتّى صار إلى دار امرأة، يقال لها: طوعة، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكنديّ، فتزوّجها رجل من حضرموت يقال له: "أسد بن البطين"! فأولدها ولداً يقال له: "أسد"» (١) ...

ولكنّه قال ـ وهو يسترسل في نقل الأحداث نقلاً عن محمّد بن الأشعث ـ: فقال:

«إنّ ابني هذا يخبرني أنّ مسلم بن عقيل في دار طوعة عند مولاة! لنا».

وقال **البلاذري**:

«خرج متوجّهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده يتلدّد في أزقّة الكوفة، ليس معه أحد، ودفع! إلى باب امرأة يقال لها: "طوعة"» (٢)..

وقال **الدينوري**:

«.. فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم يرَ منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كنده.

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ

---

(١) الفتوح: ٥ / ٨٨.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها» (١) ...

القول الثاني: أمّ ولد للأشعث

ونصّ الطبري أنّها كانت مولاة للأشعث، فأعتقها وتزوّجت من رجل حضرميّ، فولدت له بلالاً، فهي حرّة يوم المولى الغريب غير أنّها كانت مملوكة من قبل:

قال الطبري:

«حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: "طوعة" ـ أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرميّ ـ» (٢)..

القول الثالث: ابنها مولى لمحمّد بن الأشعث

وذكر الطبري أيضاً والمزّي وابن حجر والشجريّ أنّ ابنها كان مولى لمحمّد بن الأشعث:

«فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته، ثمّ دخلت فمكثت ما شاء الله، ثمّ خرجت فإذا هو على الباب،

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١، مقاتل الطالبيين: ١٠٤.

قالت: يا عبد الله، إنّ مجلسك مجلس ريبة، فقم، قال: إنّي أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم، ادخل.

وكان ابنها مولى لمحمّد بن الأشعث، فلمّا علم به الغلام انطلق إلى محمّد فأخبره، فانطلق محمّد إلى عبيد الله فأخبره» (١)..

وكذا ذكر **ابن الجوزي في التذكرة**، فقال:

«وقد بقي وحده فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءاً ... وكانت المرأة أمّ مولى لمحمّد بن الأشعث» (٢)..

القول الرابع: من بني هاشم

في **نور العين في مشهد الحسين عليه السلام للاسفرائيني** (٣):

«.. فقالت له المرأة من أيّ الناس أنت؟

فقال: من بني هاشم، أنا مسلم بن عقيل، قد غرّني هؤلاء القوم وبايعوني ونقضوا بيعتي.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٢) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٣) بغضّ النظر عن صحّة نسبة الكتاب للمؤلّف، فإنّه وثيقة قديمة.

فقالت: وأنا من بني هاشم، وأحقّ بإجارتك» (١).

وقال **الأستاذ محمّد علي عابدين:**

«تدعى تلك المرأة الصالحة باسم "طوعة" كانت سيّدة مؤمنة ممّن استأثرت الأحداث باهتمامهنّ، وقيل: أنّها كانت مولاة للهاشميّين تخدمهم أيّام كانوا في الكوفة خلال خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه الصلاة والسلام ـ» (٢)..

---

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

(٢) مبعوث الحسين عليه السلام: ١٩٨.

زوجها

قال **الشيخ عبد الواحد المظفّر**رحمه الله في هامش كتابه **سفير الحسين** عليهما السلام

«أسيد هذا هو زوج طوعة، هو أسيد بن مالك، كان شرطيّاً عند ابن زياد ومن حرسه الخاصّ، وشهد حرب الحسين عليه السلام مع عمربن سعد، وصدرت منه أعمال خبيثة، شرك في قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل.

وفي رواية **البحار**: وكان أحد العشرة الذين داسوا جسد الحسين عليه السلام بحوافرخيلهم، وهؤلاء العشرة أخذهم المختار فبطحهم وضرب في أيديهم وأرجلهم سكك الحديد وأجرى

عليهم الخيل، وهم أحياء حتّى قطعتهم بحوافرها» (١).

وعبارة الشيخ المجلسي رحمه الله في البحار هي نفس عبارة السيّد ابن طاووس في اللهوف (٢)، قال:

«.. ثمّ نادى عمر بن سعد في أصحابه: مَن ينتدب للحسين فيوطئ الخيل ظهره، فانتدب منهم عشرة، وهم:

إسحاق بن حوية الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه.

وأخنس بن مرثد.

وحكيم بن الطفيل السنبسيّ.

وعمرو بن صبيح الصيداويّ.

ورجاء بن منقذ العبديّ.

وسالم بن خيثمة الجعفيّ.

وواحظ بن ناعم.

وصالح بن وهب الجعفيّ.

وهانئ بن ثبيت الحضرميّ.

وأسيد بن مالك.

فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتّى رضّوا ظهره وصدره.

---

(١) سفير الحسين عليه السلام للشيخ المظفّر: ٩٤.

(٢) اللهوف للسيّد ابن طاووس: ١٣٥.

قال: وجاء هؤلاء العشرة حتّى وقفوا على ابن زياد، فقال أسيد ابن مالك أحد العشرة:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكلّ يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟

فقالوا: نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتّى طحنّا جناجن صدره، فأمرلهم بجائزة يسيرة.

قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة، فوجدناهم جميعاً أولاد زنا، وهؤلاء أخذهم المختار، فشدّ أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتّى هلكوا» (١).

وعدّه **البلاذري في أنساب الأشراف** فيمن انتهب رحل الحسين عليه السلام ومال على الورس والحلل والإبل، قال:

«.. ومال الناس على الورس والحلل والإبل فانتهبوها، وأخذ الرحل ابن زهير الجعفيّ وجرير بن مسعود الحضرميّ وأسيد بن مالك الحضرميّ أكثر تلك الحلل والورس» (٢) ...

وعدّه **ابن سعد** ـ في أحد قولين ـ قاتل عبد الله بن عقيل، قال **ابن سعد:**

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥ / ٥٩.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٠٤.

«وعبد الله بن عقيل، الآخر، وأمّه أمّ ولد، قتله عمرو بن صبح الصدائيّ، ويقال: قتله أسيد بن مالك الحضرميّ» (١).

وعدّه **الطبري** ـ في أحد قولين ـ قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل، قال:

«وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأمّه رقيّة ابنة علي بن أبي طالب، وأمّها أمّ ولد، قتله عمرو بن صبيح الصدائيّ، وقيل: قتله أسيد بن مالك الحضرميّ» (٢)..

يبقى أنّ ما جاء في أخبار المولى الغريب عليه السلام، ومجريات الأحداث في الكوفة، التصريح باسم زوج طوعة ونسبته من دون الإشارة إلى اسم أبيه، فكلّ من ذكره قال: «أسيد الحضرميّ»، وما جاء في الأخبار التي ذكرناها آنفاً التصريح باسم أبيه أيضاً، فهل هما واحد؟

نترك الجواب **للمحقّق المرحوم الشيخ المظفّر** إذ عدّهما واحداً، وهو خبير في التاريخ وعارف برجاله، فإن كان حدساً منه رحمه الله، فالتوقّف أجمل وأحوط، وإن كان ثابتاً لديه بالقرائن أو النصوص التاريخيّة، فالقول قوله، إذ لم نجد ـ حسب فحصنا ـ شيئاً يصلح أن يكون قرينة أو شاهداً على ما ذهب إليه.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٧٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٦٩، الكامل في التاريخ: ٤ / ٩٣.

* * * * *

وقد ذهب **الشيخ شمس الدين** إلى أنّها كانت أرملة [١]، وذكرها بهذا الوصف في سياق كلامه، وأرسله إرسال المسلّمات من دون الإشارة إلى مصدره.

وعلى هذا ينتفي كلام **الشيخ المظفّر** من رأس، والله العالم.

---

(١) انظر: أنصار الحسين عليه السلام لشمس الدين: ١٩١.

عمرها

لم يحدّد المؤرّخون عمرها بالضبط، ولكنّ **الطبري**، و**أبا الفرج الأصفهانيّ**، و**ابن الأثير**، و**ابن كثير**، و**الشيخ المفيد**، و**الفتّال النيسابوريّ**، و**العلاّمة المجلسي**، و**الفاضل البحراني**، اتّفقوا قولاً واحداً أنّها كانت عجوزاً.

قال **الطبري**:

«.. وأصبح ابن تلك العجوز، وهو بلال بن أسيد الذى آوت أمّه ابنَ عقيل» (١)..

وقال **أبو الفرج**:

«.. وأصبح بلال ابن العجوز التي آوت ابن عقيل» (٢)..

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

(٢) مقاتل الطالبيين: ١٠٤.

وقال ابن الأثير:

«.. فلمّا أصبح جلس للناس، ولمّا أصبح بلال ابن تلك العجوز التي آوت مسلم بن عقيل» (١)..

وقال الشيخ المفيد، وابن كثير، والفتّال النيسابوريّ، والمجلسي، والبحراني:

«.. وأصبح ابن تلك العجوز فغدا إلى عبد الرحمن» (٢)..

ونحسب أنّ المصدر الأوّل لهذا القول إنّما هو الطبري، فهو أقدمهم، وفي نصوص من تأخّر عنه شواهد تدلّ على الأخذ عنه.

«والعَجُوز من النساء: الشَّيْخَة الهَرِمة، وهي المرأة الكبيرة المسنّة (٣)، سمّيت بذلك لأنّها عجزت عن أكثر الأمور» (٤).

فهي امرأة طاعنة في السنّ، قد أكلت السنون أيّامها، وشيخة هرمة قد علمّتها الأيّام دروساً من تجاربها ومنحتها الخبرة والحنكة في التعامل

---

(١) الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣٢.

(٢) الارشاد للمفيد: ٢ / ٥٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٥ / ١٥٥، البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٩، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٢٣، نفس المهموم للقمّي: ١٠٦، روضة الواعظين للفتّال: ١٥٠، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٢، لواعج الأشجان: ٥٥.

(٣) انظر: لسان العرب مادّة «عجز».

(٤) انظر: مجمع البحرين للطريحي مادّة «عجز».

مع الأحداث.

ومعنى أنّها هرمة مسنّة، أنّها عاشت الفترة المظلمة الحالكة منذ أيّام السقيفة، مروراً بما جرى على أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله خلال حكم الملوك الثلاثة، إلى الطامّة الكبرى التي أتت على البلاد والعباد حين نزى قردة بني أميّة على الحكم والسلطان..

عاشت حكم الطاغوت وما تبعه من خوف ورعب وإرهاب وقتل على الظنّة والتهمة، وتعقّب الصالحين تحت كلّ حجر ومدر، وحملات التهجير، والإبادة التي تعرّض لها المجتمع الكوفيّ إبّان حقبة الحكم الأمويّ بالخصوص..

ومعنى أنّها هرمة مسنّة، أنّها عاشت في أفياء حكم سلطان الدنيا والآخرة، أمير المؤمنين عليه السلام، واستروحت عبير الأمن والأمان والإيمان، ورفلت في ظلّ الرخاء والعطاء والسعادة والحنان العلويّ.

يعني أنّها عاشت الكوفة يوم أشرقت عليها أنوار السيّدة الصدّيقة الصغرى عليها السلام، وأضاءت بمصابيح آل محمّد عليهم السلام رجالاً ونساءاً، بوجود الإمامين الحسنين عليهما السلام، ووجود بنات أمير المؤمنين بما فيهنّ رقية عليها السلام، زوجة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وفاح منها أريج الوجود المسلميّ المقدّس ...

وكان الناس ـ ولا زالوا ـ يهتمّون بأرحام العظماء وأقربائهم

وأصهارهم.. فكيف بمن فرض الله معرفته على العباد؟!

محلّتها

لم يحدّد لنا التاريخ موضع بيتها بالضبط، مع أنّه يعتبر قضيّة غاية في الأهمّيّة، إذ صار معقلاً مهمّاً من معاقل أهل البيت عليهم السلام في ليلة من ليالي التاريخ، وصار مناراً للفخر والشهامة والشرف والجوار يحقّ للشرفاء وأهل الحفاظ أن يفخروا به، وصار كانوناً يشعّ منه نور الفضيلة في بقعة غمرها الظلام والاستسلام..

والأهمّ من ذلك أنّه صار موضعاً شهد أشدّ المساجلات والمعارك الضارية التي شهدتها الكوفة عبر تاريخها الطويل.. معركة غير عادية بكلّ الموازين والمقاسات، يوم قابل الليث الطالبيّ جموع الكتائب وردّها، وحطّم أكداس السلاح وصدّها.

ولكي نستكشف موضع البيت على نحو التقريب، علينا أن نتردّد في صفحات كتب المؤرّخين، ونستنطق نصوصهم، فلعلّنا نصل قريباً من

دارها..

وقد انقسمت المتون التاريخيّة من حيث تحديد البلد إلى قسمين:

القسم الأوّل: الحيرة

انفرد ـ حسب فحصنا ـ كتاب **أبي مخنف** «**المشهور**» بالنصّ على أنّ المولى الغريب خرج من الكوفة وأتى الحيرة، واستضافته هناك امرأة، وربما نصّ على ذلك **الطريحي في المنتخب** تبعاً لهذه النسخة من **مقتل أبي مخنف**، فقال **أبو مخنف**:

«فلمّا سمع مسلم بن عقيل عليهما السلام قتل هانئ، خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتّى خرج من الكوفة، وأتى الحيرة وجعل يدور فيها، حتّى بلغ إلى دار عالية البنيان» (١) ...

وقال **الطريحي في المنتخب**:

«قال الناقلون: لمّا وصل خبر هانئ إلى مسلم، خرج من الدار [دار هانئ] هارباً حتّى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك بعد ما سألته عن حاله وقصّته» (٢) ...

وبناءاً على ما في النصّين لايمكن حمل «الحيرة» على منطقة أو محلّة

---

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣١.

(٢) المنتخب الطريحي: ٢ / ٤٢٥.

في الكوفة، لأنّهما يصرّحان بخروجه من الكوفة.

وخبر **المقتل المشهور** ـ بغضّ النظر عن الكتاب نفسه ـ فيه من الشذوذ في نقل الأحداث ما يعين على تقديم أخبار القسم الثاني عليه بدون عناء.

القسم الثاني: الكوفة

عدا ما ذكرنا في القسم الأوّل، فإنّ كلّ مصدر وقع بأيدينا وجدناه ينصّ على أنّ بيت طوعة في الكوفة، ولكنّها اختلفت في التحديد من حيث الإشارة إلى عنوان قد يقرّب الباحث عن دارها أكثر من غيره، ويمكن تقسيم أخبارهم إلى ثلاثة عناوين:

العنوان الأوّل: لم تحدّد المنطقة

لم يحدّد **الطبري** في إحدى رواياته، و**الشجري في الأمالي** و**المزّي في تهذيب الكمال** و**ابن حجر في تهذيب التهذيب** و**ابن حبّان في الثقات** المنطقة بالضبط، فقالوا:

«.. فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة» (١)..

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

وهذا العنوان لا يفيد غير أن يحصر البيت في الكوفة.

العنوان الثاني: حيّ كندة

قال **ابن سعد**:

«وجاء الليل فهرب!! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة» (١)..

وقال **الدينوري**:

«.. فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتّى دخل حيّ كندة، فإذا امرأة قائمة علي باب دارها» (٢) ...

وقال **البلاذري**:

«.. خرج متوجّهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده يتلدّد في أزقّة الكوفة، ليس معه أحد، ودفع! إلى باب امرأة يقال لها طوعة» (٣)..

وقال أيضاً:

«.. ولجأ مسلم إلى دار من دور كندة» (٤)..

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٤) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧١، ٤٢٢.

وقال **الدينوري**:

«فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كنده، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها» (١) ...

وفي **تاريخ الطبري**:

«.. فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة» (٢)..

وهذه الأخبار تفيد حصر الدار في دائرة أضيق من أخبار العنوان الأوّل، فلا يعدو أن يكون في محلّة كندة، وكانت كندة تسكن في جهة القبلة جنوباً (٣).

غير أنّ كندة كبيرة ومحلّتها واسعة منتشرة.

العنوان الثالث: دور بني جبلة من كندة

حدّد **الطبري** في إحدى رواياته و**أبو الفرج** في **المقاتل** و**الشيخ المفيد** في **الإرشاد** و**الفتّال** في **روضة الواعظين** المنطقة تحديداً يحصر المحلّة من

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٣) انظر: تاريخ الكوفة للبراقي: ١٦٣.

حيّ كندة، ويقرّبنا أكثر من بيت طوعة، قالوا:

«.. فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لايدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة» (١)..

وبهذا نعرف أنّ دارها كانت في الكوفة في جهة القبلة جنوباً، في منطقة بني جبلة من حيّ كندة.

* * * * *

تبقى هنا إشارتان ربما تعين الباحث على تحديد أكثر لموقع الدار، وهما:

الإشارة الأولى: لم يكن بيتها قريباً من المسجد

يبدو من النصوص التاريخيّة أنّ دار طوعة لم يكن قريباً جدّاً من المسجد الأعظم، ويشهد لذلك تعبير المؤرّخ بما يفيد أنّ المولى الغريب عليه السلام جعل يتردّد في أزقّة الكوفة، ويطوف في شوارعها، ويمشي حتّى أتى الباب..

قال:

«فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لايدري أين يذهب!

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة» [١] ...

ربما كان هذا النصّ ـ وغيره من النصوص التي مرّت معنا مراراً ـ معبّراً عن وجود مسافة غير قصيرة بين دارها والمسجد الأعظم، لكنّه يبقى محصوراً بين كري سعد «كري سعدة» والمسجد الأعظم، لأنّ الكري كان حدّاً للكوفة من تلك الجهة [٢]، وهو لا يبعد عن المسجد الأعظم أكثر من كيلومترين [٣]..

الإشارة الثانية: بيتها في زقاق

كانت الكوفة مقسّمة يومذاك إلى مناهج وسكك وأزقّة، وهي تختلف حسب السعة عرضاً من خمسين ذراعاً إلى خمسة وعشرين ذراعاً وهكذا.

وقد انقسمت المصادر في تحديد موقع بيت طوعة إلى ثلاث أقسام: منها: ما لم يصرّح بالزقاق أو الشارع.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

(٢) انظر: تاريخ الكوفة للبراقي: ١٥٥.

(٣) نرجو من الله أن يوفّقنا أو يوفّق ذوي الاختصاص، لتحديد موقع جبلة من كندة في بقعة معيّنة من حيّ كندة..

ومنها: ما عبّر بالشارع.

ومنها: ما عبّر بالزقاق.

ويبدو أنّ الطائفة الثالثة هي الأكثر والأضبط في التعبير، إذ أنّه دار في حيّ، فيقتضي أن يكون واقعاً في زقاق لا في سكّة ولا منهج، كما يمكن حمل الشارع على الزقاق ...

صفة الدار

صفة الدار من الخارج

لم نجد ـ حسب فحصنا ـ مصدراً يرسم لنا صفة الدار من الخارج سوى ما ذكر في **مقتل أبي مخنف المشهور ونور العين للاسفراييني**:

قال **أبو مخنف**:

«فلمّا سمع مسلم بن عقيل عليه السلام قتل هانئ، خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتّى خرج من الكوفة، وأتى الحيرة وجعل يدور فيها، حتّى بلغ إلى دار عالية البنيان، وفيها دهليز كبير، وامرأة جالسة على باب الدهليز، فوقف مسلم ينظر إليها» (١).

---

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣١.

وقال **الاسفرائينيّ في نور العين في مشهد الحسين** عليه السلام:

«فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها» (١) ...

وبالرغم من أنّ خبر **المقتل** يتحدّث عن الدار في الحيرة، فإنّه وصف للدار.

وقد اتّفقا على أنّ الداركانت عالية البنيان، وزاد في **مقتل أبي مخنف المشهور** أنّ فيها دهليزاً كبيراً..

وهذه الصفة ـ بغضّ النظر عن الكتب التي ذكرتها ـ تنبؤ عن دار ضخمة فخمة منيفة في تلك الأعصار، لأنّ التعبير بارتفاع البنيان وعلوّه يحكي تكثّر مرافقه، وربما أفاد أنّه أكثر من طابق، ووجود الدهليز يحكي سعته وامتداده في العمق..

صفة الدار من الداخل

أمّا من الداخل فقد أفاده **الطبري** و**ابن كثير** و**الشيخ المفيد** و**أبو الفرج** و**الفتّال** وغيرهم، واللفظ **للطبري**:

«فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذى تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ، ولم يكن بأسرع من أن

---

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام للاسفرائيني: ٢٧.

جاء ابنها، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله إنّه ليريبني كثره دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إنّ لك لشأناً»..

وهذا النصّ يفيد صراحة أنّ الداركان فيها أكثر من بيت «غرفة»، لأنها «أدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه..».

وربما أفاد أنّ البيت الذي نزل فيه المولى الغريب عليه السلام لم تكن تعتاد دخوله لاستغنائها عنه، حيث أثار فضول ابنها حسب النصّ.

سبب وقوفها على الباب

اختلفت المصادر في تقرير الموقف، كما اختلفت من قبل، وسوف نقسّمها إلى وقفات لنستطلع الأمر:

الوقفة الأولى: مصادر لم تذكر وقوفها

أغفلت بعض المصادر ذكر الوقوف على الباب، ولم تتعرّض لذلك نفياً أو إثباتاً:

قال **ابن سعد**:

«.. وجاء الليل فهرب!! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها» (١)..

وقال **البلاذري**:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

«ودفع! إلى باب امرأة يقال لها: "طوعة"، فاستسق ماءاً، فسقته» ...

وقال **الطبري**:

«.. فخرج مسلم فدخل داراً من دوركندة، فجاء رجل إلى محمّد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان [١]..

ربما يقال: إنّ قوله «حتّى دخل» و«فدخل..» يفيد أنّها لم تكن واقفة بالباب، وإنّما دخل عليها المولى الغريب عليه السلام، فإن صحّت الإفادة يدخل النصّ في الوقفة الثانية.

الوقفة الثانية: لم تكن واقفة على الباب

تفيد نصوص هذه الوقفة أنّ طوعة لم تكن واقفة على الباب، وإنّما خرجت إليه بعد أن نزل على بابها:

قال **الطبري**، والشجري والمزي وابن حجر: فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته [٢]..

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ←

وقال ابن الجوزي: فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءاً، فسقته، وقالت من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل فدخل، وكانت المرأة أم مولى لمحمّد بن الأشعث (١).

وقال **ابن كثير في البداية والنهاية:**

«.. فأتى باباً فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها: طوعة» (٢)..

وعبارة **ابن كثير** أكثر العبارات وضوحاً حيث أفاد أنّها إنّما خرجت بعد أن طرق المولى الباب..

الوقفة الثالثة: كانت واقفة على الباب من دون ذكر السبب

صرّحت بعض المصادر بوقوفها على الباب من دون ذكر السبب:

قال **ابن أعثم في الفتوح:**

«.. وكانت المرأة واقفة على باب دارها، فسلّم عليها مسلم بن عقيل، فردّت عليه السلام» (٣)..

٦/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(١) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٢) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٥.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٨.

وقال ابن حبّان في الثقات:

«.. فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده، فرأى امرأة على باب دارها، فاستسقاها ماءاً» (١)..

الوقفة الرابعة: كانت واقفة تنتظر ولدها

صرّح الطبري في إحدى رواياته أنّها كانت واقفة على الباب تنتظر ولدها، وكأنّه يخبر عن قلقها عليه لخروجه مع الناس، وكان الوضع يومئذٍ ملتهباً، وقد دهمها الليل، وتأخّر الوقت، وهو بعدُ لم يعد إلى البيت، فخرجت تترقّب الطريق، وتتسقّط الأخبار، وتستعجل عودته إليها..

قال الطبري:

«.. فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة ـ أمّ ولد كانت للأشعث ابن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالاً، وكان بلال، قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره ـ فسلّم عليها ابن عقيل» (٢)..

---

(١) الثقات لابن حبّان: ٢ / ٣٠٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١ وما بعدها.

وقال **ابن الأثير**:

«فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلمّا خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها: "طوعة" أمّ ولد كانت للأشعث وأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره» (١)..

وقال **أبو الفرج في مقاتل الطالبيّين**:

«وكان بلال قد خرج مع الناس، وأمّه قائمة تنتظر، فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت السلام» (٢)..

وقال **الشيخ المفيد**:

«.. وكان بلال قد خرج مع الناس فأمّه قائمة تنتظره فسلّم عليها ابن عقيل فردّت عليه» (٣)..

---

(١) الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣٢.

(٢) مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج: ١٠٤.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣.

ملاحظات:

الملاحظة الأولى: عدم ورود سبب الوقوف في المصادر القديمة

يلاحظ أنّ المصادر القديمة ـ حسب فحصنا ـ لم تنصّ على وقوفها بالباب أو على سبب وقوفها، سوى ما ذكره **الطبري** في إحدى رواياته، والذين جاؤوا من بعده من قبيل **أبي الفرج وابن الأثير والشيخ المفيد**، والشواهد تشير إلى أخذهم عنه..

الملاحظة الثانية: تحليلات المؤرّخ!

ذكرنا في أكثر من مناسبة أنّ المؤرخ والراوي يصوغان الحدث وفق بناءاتهم العقليّة والدينيّة والذهنيّة والنفسيّة وغيرها من المؤثّرات، ولكنّه أحياناً يضيف تحليلاً أو تصوّراً بصراحة ليعلّل به المشهد أو يتمّم به الصورة التي يريد لها أن تظهر للعيان أمام القارئ..

وهنا نحسب أنّ ما ذكره **الطبري** كان من هذا القبيل، إذ لم يصرّح بذلك أحد من أشخاص الحدث، لا طوعة نفسها، ولا ابنها ولا غيرهما، وإنّما هذا ما تصوّره أو ما صوّره لنا المؤرّخ تفسيراً لوقوفها على الباب، ويشهد لذلك السياق.

ويمكن أن نفترض لوقوفها أسباباً أخرى من قبيل: أنّها كانت واقفة

تنتظر مسلم عليه السلام بناءاً على احتمال أن تكون مبلغة بمجيء مسلم عليه السلام عندها، وأنّها كانت تنتظره إلّا أنّها لا تعرفه شخصاً، كما شرحنا ذلك مفصّلاً في بحث «**بين المسجد الأعظم ودار طوعة**».

أو أنّها كانت واقفة ترقب الأحداث، وهي امرأة لا تريد الخروج، وما شاكل من الفرضيّات التي تنسجم مع المشاهد الآنفة الذكر..

كيف حصل اللقاء؟

ذكرنا في بحثنا عن حركة المولى الغريب بين المسجد الأعظم ودار طوعة بعض الاحتمالات عند الحديث عن مشاهد موقف المولى الغريب عليه السلام والنصوص المؤيّدة لها.

وهنا نذكر بعض النصوص التي تصوّر لنا كيفيّة لقاء المولى الغريب عليه السلام بطوعة، وقد اختلف المؤرّخون في تصوير ذلك:

الصورة الأولى: دخل عليها واستجار بها!

قال ابن سعد:

«وجاء الليل، فهرب مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها» [1]..

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

لقد ناقشنا هذا الخبر في أكثر من موضع، ونرى من القبيح أن نذكره، لولا ضرورة البحث التي تدعونا لاستقصاء ما وقع لنا من النصوص التاريخيّة، ولولا ذلك لكان من التفاهة والسخافة والحمق اعتبار كلام **ابن سعد** خبراً يناقش، أو كلاماً يعرض على مجنون ليصدّقه فضلاً عن العاقل.

لكنّنا ذكرناه لنعرف مدى مظلوميّة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام والجسارة التي تعرّض لها من قبل حفنة من الجهلة، وشرذمة من شذّاذ الآفاق، حتّى جرّت بهم الوقاحة أن تسيل أقلامهم بهذا اللعاب الموبوء..

هرب ؟! ثمّ دخل على امرأة ؟! هكذا اقتحم عليها اقتحام المضطرّ المستكين ؟! ثمّ استجار بامرأة؟!

أمسلم بن عقيل البطل الهاشميّ والليث الطالبيّ والشجاع الحيدريّ والكريم الحسنيّ، والأبيّ الحسينيّ يستجير؟! يستجير؟! يستجير بامرأة؟! ولتكن طوعة رضوان الله عليها مَن تكون.. تبقى امرأة من عرض الناس الأشراف النبلاء والصالحين العظماء، لكنّها تلجأ إلى مسلم وتستجير به، ولا تكون مستجاراً له.. لو أنّ الكوفة وما والها استجاروا جميعاً بسيف مسلم بن عقيل لأجارهم وحماهم..

هكذا هو التاريخ، وسترى في بعض الصور القادمة مشاهد قاتمة

ينبو عنها الطبع السليم.

الصورة الثانية: استسقى ثمّ طلب المأوى

قال البلاذري:

«.. ودفع! إلى باب امرأة يقال لها: "طوعة"، فاستسقى ماءاً، فسقته، ثمّ قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذبني هؤلاء القوم، وغرّوني، فآويني، فأدخلته منزلها وآوته» (١)..

ربما يستفاد من قوله: «ودفع» أنّه اضطرّ إلى باب طوعة، فيحمل على أحد المشاهد التي أسلفناها في تصوير موقفه عليه السلام.

الصورة الثالثة: طرق الباب

في البداية والنهاية لابن كثير:

«.. فذهب على وجهه، واختلط الظلام، وهو وحده يتردّد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها: "طوعة"» (٢)..

هذه الصورة أيضاً تقبل بالمقدار الذي يوافق بعض المشاهد الآنفة

---

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٥.

في تصوير موقفه عليه السلام، بشرط أن لا يكون فيها خدشاً بساحة قدسه، أو تشويهاً لحقيقة أمره.

الصورة الرابعة: نزل على باب

روى **الطبري والمزّي وابن حجر والشجريّ**:

«.. فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته» (١)..

والفرق بين هذه الصورة والصورة السابقة في التصريح بمبادرة المولى الغريب عليه السلام بطرق الباب.

الصورة الخامسة: كانت تنتظر ولدها فأدخلته

قال **الدينوري**:

«.. فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتّى دخل حيّ كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها» (٢)..

وقال **الطبري**:

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

«.. فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة ـ أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره ـ فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءاً» (١)..

الصورة السادسة: جلس فخرجت إليه

قال ابن الجوزي في التذكرة:

«.. وجعلوا يكلّمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءاً فسقته» (٢) ...

يصرّح ابن الجوزي أنّ المولى الغريب إنّما جلس على باب، وأنّ المرأة بادرت وجاءته أو خرجت، فطلب منها ماءاً، فربما أفاد تنكير الباب في كلامه ومجيئها أو خروجها إليها احتمال أن لا يكون قد جلس على باب المرأة بالخصوص، وإنّما جلس على باب ما فقصدَته المرأة، كما

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١ وما بعدها.

(٢) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

يحتمل أن يكون الجلوس على بابها، وكان مجيؤها أو خروجها إليه من داخل الدار.

الصورة السابعة: كانت جالسة فوقف عليها

في نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:

«.. فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار» (١)..

وهنا أيضاً ـ بغضّ النظر عن اعتبار الكتاب ونسبته للمؤلّف، وما فيه من أخبار شاذّة ـ، ينقل لنا صورة وقوفه عليه السلام ينظر إلى تلك الدار والمرأة جالسة على بابها بشكل مريب لا يطاق، سيّما إذا لوحظ مع تتمّة الخبر، كما سيأتي الحديث عنه في «حوار الباب».

---

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

حوار الباب

اختلف المؤرّخ في نصّ الحوار والأحداث والحركات التي زامنت الحوار بين مفصّل ومجمل، واقتطعت بعضها الحوار، فلم تذكره أبداً.

مصادر لم تذكر حواراً

قال **ابن سعد**:

«.. وجاء الليل فهرب! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: "طوعة"، فاستجار بها» (١)..

وقال **الدينوري**:

«.. فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتّى دخل حيّ كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

خفّ مع مسلم، فآوته، وأدخلته بيتها» (١)..

وقال **الطبري** في إحدى رواياته:

«.. فخرج مسلم فدخل داراً من دوركندة» (٢)..

مصادر ذكرت الحوار

أمّا المصادر التي ذكرت الحوار فقد نقلته بصور شتّى، سنسمعها ضمن الحوارات التالية:

الحوار الأوّل: البلاذري:

«.. ودفع! إلى باب امرأة يقال لها "طوعة"، فاستسقى ماءاً، فسقته.

ثمّ قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذبني هؤلاء القوم، وغرّوني، فآويني. فأدخلته منزلها وآوته» (٣)..

نسمع في هذا الحوار كلام المولى الغريب عليه السلام، ولكنّه أغفل كلام طوعة، ونصّ على أفعالها.

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

الحوار الثاني: الطبري، الشجري، المزّي، ابن حجر:

«.. فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته.

ثمّ دخلت، فمكثت ما شاء الله، ثمّ خرجت، فإذا هو على الباب.

قالت: يا عبد الله! إنّ مجلسك مجلس ريبة! فقم.

قال: إنّي أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟

قالت: نعم، ادخل» (١)..

حوار مقتضب، تبدو فيه طوعة للوهلة الأولى مهاجمة في طريقة التعبير، تصدر له أمراً بالقيام، وتعلّل ذلك بالريبة.

ويبدو أنّ الريبة هنا لا تعني ما ذكره **الاسفرائينيّ**، وإنّما تعني ما يناسب تلك الأجواء الخطيرة باعتباره في زيّ المحارب المقاتل، والكوفة يومها ـ حسب المصادر ـ ساحة مطاردات وملاحقات، وبؤرة توتر أمنيّ شديد الحسّاسية، فكأنّها خافت أن يسبّب لها مضايقات، أو متابعات لا ترغب فيها.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

فلمّا عرفته إنّه المولى الغريب عليه السلام، اشترت كلّ التبعات، وتشرّفت بدعوته.

الحوار الثالث: الطبري:

«.. فمضى على وجهه يتلدّد في أزقّة الكوفة لايدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دوربني جبلة من كندة، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة ـ أمّ ولد كانت للأشعث ابن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالاً، وكان بلال، قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره ـ.

فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت عليه.

فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءاً.

فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت الإناء، ثمّ خرجت، فقالت: يا عبد الله! ألم تشرب؟!

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك.

فسكت، ثمّ عادت، فقالت مثل ذلك، فسكت.

ثم قالت له: في الله! سبحان الله! يا عبد الله! فمرّ إلى أهلك عافاك الله، فإنّه لايصلح لك الجلوس على بابي، ولاأحلّه

لك.

فقام، فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلّي مكافؤك به بعد اليوم!

فقالت: يا عبد الله، وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغرّوني.

قالت: أنت مسلم!

قال: نعم.

قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه» (١)..

يبدو أنّ **الطبري** انطلق هنا ـ كعادته ـ ليضيف على الحوار مقاطع لم تكن عند من سبقه، فجاءت عنده زيادات وإضافات، وتابعه عليه الآخرون..

الحوار الرابع: ابن أعثم:

«.. وكانت المرأة واقفة على باب دارها، فسلّم عليها مسلم بن عقيل، فردّت عليه السلام، ثمّ قالت: ما حاجتك؟

قال: اسقيني شربة من الماء فقد بلغ منّي العطش.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

قال: فسقته حتّى روى، فجلس على بابها.

فقالت: يا عبد الله! ما لك جالس؟! أما شربت؟

فقال: بلى والله، ولكنّي ما لي بالكوفة منزل، وإنّي غريب قد خذلني من كنت أثق به! فهل لك في معروف تصطنعه إليّ، فإنّي رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافئ بالإحسان.

فقالت: وكيف ذلك؟ ومن أنت؟

فقال مسلم: خلّي هذا الكلام! وأدخليني منزلك عسى الله أن يكافأك غداً بالجنّة.

فقالت: يا عبد الله! خبّرني اسمك، ولا تكتمني شيئاً من أمرك، فإنّي أكره أن يدخل منزلي من قبل معرفة خبرك، وهذه الفتنة قائمة، وهذا عبيد الله بن زياد بالكوفة.

فقال لها مسلم بن عقيل: إنّك لو عرفتني حقّ المعرفة لأدخلتني دارك، أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب!

فقالت المرأة: قم فادخل رحمك الله!

فأدخلته منزلها» (١)..

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٨.

مقطع حواريّ لعلّه الأطول لحدّ الآن بين ما نقل من حوارات في المصادر الأخرى السابقة عليه والمعاصرة له.. يبدو فيه المولى الغريب عليه السلام مناوراً لا يريد الكشف عن هويّته وتبدو فيه طوعة في مقام النصيحة والتعليم للمولى الغريب عليه السلام.

الحوار الخامس: ابن الأثير:

«.. فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلمّا خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها "طوعة" ... فسلّم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته، فجلس.

فقالت له: يا عبد الله! ألم تشرب؟

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت.

فقالت له ثلاثاً فلم يبرح.

فقالت: سبحان الله! إنّي لا أحلّ لك الجلوس على بابي.

فقال لها: ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلّي أكافأك به بعد اليوم؟

قالت: وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني.

قالت: ادخل» (١).

هذا الحوار وأمثاله من المتأخّرين عن **الطبري** و**ابن أعثم** إمّا أن يكون معتمداً ـ في الغالب ـ على أحد السابقين، أو ملفّقاً بين نصوصهم، فحكمه حكمها.

الحوار السادس: نور العين في مشهد الحسين عليه السلام

«فلمّا علت الضجّة في دار هانئ لأجل قتله وكثر البكاء خرج مسلم بن عقيل، وجعل يطلب لنفسه مجيراً وداراً في شوارع الكوفة.

فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار.

فقالت له المرأة: يا فتى ما وقوفك على هذا الباب وفي الدار حريم ؟

فقال لها: يا أمة! والله ما خطر ببالي شيء من ذلك، وإنّما أنا رجل مطلوب، وأريد من يجيرني بقيّة يومي هذا.

فقالت له المرأة: من أيّ الناس أنت؟

---

(١) الكامل: ٤ / ٣٢.

فقال: من بني هاشم، أنا مسلم بن عقيل، قد غمرني هؤلاء القوم وبايعوني ونقضوا بيعتي.

فقالت: وأنا من بني هاشم، وأحقّ بإجارتك» (١) ...

* * * * *

كلمة عجلان:

اكتفينا هنا بذكر نماذج من الحوار الذي رواه المؤرّخون بين المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام والمرأة النبيلة طوعة، ولا نريد مناقشتها بالتفصيل، بيد أنّنا نشير إلى تذكيرين فقطّ:

التذكير الأوّل: من عرف مسلماً عليه السلام

تركنا التعليق على تفاصيل الحوارات اعتماداً على القارئ الذي عرف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام، فإنّه سيميّز ـ بعد أن تعرّف إلى شخصيّة المولى الغريب عليه السلام وأخلاقيّاته ومقامه ومنزلته ـ أيّ حوار سيصدق وأيّها لا..

وربما قيّض الله من هو أجدر بنا وأخبر لمناقشتها، أو رزقنا الله خدمة المولى عليه السلام وطوعة من جديد بتوفيق جديد ينهض بنا لمناقشتها بالتفصيل.

---

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

التذكير الثاني: الميزان العامّ

لقد قدّمنا في أكثر من موضع موازين عامّة للنظر في أخبار المؤرّخين، وهي جميعاً تنطبق هنا بالتمام والكمال، فكلّ ما لم يخالف عقائدنا ومرتكزاتنا الحقّة نقبله، وإلّا فنردّه أو نتوقّف فيه.

فما كان من الحوارات يعرض لنا المولى الغريب عليه السلام والشجاع الأبيّ في مشهد الخائف المستجير أو المستجدي المستعجل، ـ والعياذ بالله ـ فنحن لا نقبله ولا نصدّقه.

وكذا ما يخالف غيرة الأبيّ الكريم، ورجل الحفاظ، وصاحب الأنفة الهاشميّة النبويّة، الذي تأبى له الحجور الطيّبة والأنوف الحميّة قبول الصغار والذلّ، كما لو يطرد من باب أكثر من مرّة ويبقى هو مصرّاً متوسّلاً لعلّه يستعطف قلب المخاطب فيؤويه..

إن كان هذا مقبولاً عند الهاشميّين الكرماء والسادة النبلاء، وأهل الشرف والعلياء، فليقبل في المولى سفير الحسين عليه السلام، وإلّا فلا.

أمّا ما ورد في **نور العين**، فهو تصوير هابط، ونكاية يأنف عن التفوّه بها من له أدنى معرفة بالمولى الغريب عليه السلام.

ولا ندري كيف يسمح جاهل ـ فضلاً عن العالم ـ أن يدخل الريبة إلى ساحة رجل تعلوه هالة القدس النبويّ، وتشعّ من وجهه أنوار الإيمان الطالبيّ، وتحوطه الهيبة الحيدريّة، وتبرق من عينيه لمعات التقى،

تكتنز أحداقه معادن الحلم والنهى، وتفيض من نظراته الرحمة الحسينيّة، وتحوطه هالات السكينة والوقار، وهو غريب قضى يوماً صاخباً بالأحداث الجسيمة.. ومع كلّ هذا ترتاب المرأة من نظراته؟! ويقسم لها على براءته؟! تعساً لهاتيك الأقلام الخائبة.

وَلدها

ابن من؟

اكتفت بعض المصادر بالنصّ على كونه كان مولى لمحمّد بن الأشعث، وأغفلت نسبه، كما فعل **الطبري** في إحدى رواياته، و**الشجري** و**المزّي** و**ابن حجر** و**سبط ابن الجوزي** في **التذكرة** [1]..

وفي خبر آخر **للطبري** وغيره صرّح أنّه «ابن أسيد الحضرميّ»، قال **الطبري**:

«.. طوعة ـ أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها،

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٤٠.

فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالاً، وكان بلال ـ» [١]..

وانفرد **ابن أعثم في الفتوح** بنسبته إلى «أسد بن البطين»، قال:

«.. حتّى صار إلى دار امرأة، يقال لها: طوعة، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكنديّ، فتزوّجها رجل من حضرموت يقال له: "أسد بن البطين"، فأولدها ولداً يقال له: "أسد"».

اسمه:

والكلام في اسمه هو نفس الكلام الذي ذكرناه آنفاً في تحديد اسم أبيه، والاختلاف نفس الاختلاف، وقد سمّاه **الطبري** وغيره «بلالاً»، وانفرد **ابن أعثم** بتسميته «أسداً».

النصّ على خيانته لضيفه

نصّت جملة من المصادر على خيانة ابن طوعة لضيفه، وأنّه نام تلك الليلة وغدا مصبحاً ليخبر عن مكان ضيفه ونزوله عندهم، وبذلك دلّ على المولى الغريب عليه السلام، فبعث ابن الأمة الفاجرة في طلبه..

وقد اختلفت المصادر ـ كما هو المعهود في أخبار المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام ـ في الشخص الذي أخبره ابنها إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١، مقاتل الطالبيين: ١٠٤، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣.

لمن أخبر؟

الإخبار الأوّل: أخبر عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث

قال **البلاذري** وغيره:

«.. وجاء ابنها فجعل ينكر كثرة دخولها إلى مسلم وخروجها من عنده، فسألها عن قصّتها، فأعلمته إجارتها مسلماً، فأتى عبد الرحمان بن محمّد بن الأشعث فأخبره بذلك.

وكان ابن زياد، حين تفرّق عن ابن عقيل الناسُ فتح باب القصر، وخرج إلى المجلس، فجلس فيه، وحضره أهل الكوفة، فجاء عبد الرحمان بن محمّد بن الأشعث إلى أبيه، وهو عند ابن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل، فأعلم محمّد بن الأشعث ابن زياد بذلك، فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به» [1]..

وقال **الدينوري**:

«.. وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن

---

(١) أنساب الأشراف: ٢ / ٨١، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣ وما بعدها، البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٩، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٢٣، نفس المهموم للقمّي: ١٠٦، روضة الواعظين للفتّال: ١٥٠، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٢، لواعج الأشجان: ٥٥.

ابن محمّد بن الأشعث، وهو حينئذٍ غلام حين راهق، فأخبره بمكان مسلم عنده.

فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمّد بن الأشعث، وهو جالس مع ابن زياد، فأسرّ إليه الخبر» (١).

الإخبار الثاني: محمّد بن الأشعث

قال **الطبري والمزّي والشجري وابن حجر:**

«.. وكان ابنها مولى لمحمّد بن الأشعث، فلمّا علم به الغلام انطلق إلى محمّد فأخبره، فانطلق محمّد إلى عبيد الله فأخبره» (٢)..

وقال **المسعودي:**

«.. وجاء ابنها، فعلم بموضعه، فلمّا أصبح غدا إلى محمّد بن الأشعث فأعلمه، فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به» (٣) ...

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٨.

الإخبار الثالث: أخبر ابن زياد

قال ابن حبّان:

«.. كان للمرأة ابن فذهب الابن وأعلم عبيد الله بن زياد أنّ مسلماً في دار والدته» (١) ...

* * * * *

كيف كان! فإنّ مؤدّى هذه الأخبار جميعاً أنّ ابن طوعة هو الذي أفشى بمكان المولى عليه السلام عندهم وخان ضيفه، سواءاً أخبر عبد الرحمن ابن محمّد، وكان غلاماً قد راهق، أو أخبر محمّد بن الأشعث مولاه - حسب بعض المصادر - أو أخبر ابن زياد مباشرة، باعتبار أنّه خبر مهمّ جعلت له الجعل، ووعد ابن الأمة الفاجرة من جاء به الحظوة والزلفى، حسب المصادر، فلماذا يتوصّل ابن طوعة إلى ابن زياد عن طريق غلام قد راهق؟

المصادر التي لم تنسب الخيانة له

قال ابن سعد:

« ... وجاء الليل فهرب! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: "طوعة"، فاستجار بها!

---

(١) الثقات لابن حبّان: ٢ / ٣٠٨.

وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس، فأخبربه عبيد الله ابن زياد، فبعث إلى مسلم فجيء به» (١)..

وقال **الطبري**:

«.. فخرج مسلم فدخل داراً من دوركندة، فجاء رجل إلى محمّد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إنّ مسلماً في دار فلان» (٢)..

يلاحظ في هذين النصّين إغفال التصريح بابن طوعة، حيث قال **ابن سعد**:

«وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس»،

وقال **الطبري** في إحدى رواياته:

«فجاء رجل إلى محمّد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه».

وربما قيل بحمل هذا الإجمال على ذاك التفصيل، فيكون ابن الأشعث قد علم عن طريق ابن طوعة، ويكون الرجل الذي جاء محمّداً هو ابنها، من دون تنصيص على الاسم، وتصريح بتحديد

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩.

هويّته.

لكن يبقى لمن أراد تجنّب نسبة الخيانة لابن طوعة الاستناد إلى هذين المصدرين.

ما هي الضرورة لقبول خيانة ابن طوعة؟

لم تصلنا معلومات عن ابن طوعة تسمح لنا باتّخاذ موقف من تصرّفاته، وتكشف لنا هويّته كشفاً وافياً كافياً، وتعرّفنا بتربيته وأخلاقيّاته، سوى ما ورد في بعض المصادر من كونه كان مولى لمحمّد ابن الأشعث، فربما يفاد من ذلك أنّه على ملّة مولاه قد أخذ عنه أخلاقيّاته وممارساته، ويشهد لذلك ما قاله **الطبري** في حقّه بلفظ «زعموا»، قال:

«.. وزعموا أنّه قد كان شريداً من الناس، وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له» (١).

هذا ما يخصّ ابن طوعة، بيد أنّ سؤالاً قد يثب هنا للذبّ عن هذه المرأة الحرّة وعن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام:

السؤال الأوّل:

لماذا يضطرّنا المؤرّخ لقبول نسبة الخيانة لولد المرأة الصالحة،

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

ويفرض لنا في أغلب الأحيان خيانة في بيت شيعيّ أو ناصر لأهل البيت عليهم السلام؟

ولا يخفى أنّ هذه الخيانة تؤدّي إلى لوازم غاية في الخطورة على طوعة نفسها، فالقضيّة ليست خفر ذمام الضيف فحسب، فيحكم بمقاييس الأعراف العربيّة، أو الموازين الشرعيّة، فيكون مخالفاً لخلق رفيع، أو مرتكباً لمعصية كبيرة، وينتهي الأمر عند هذا الحدّ.

القضيّة تمسّ العرض والشرف مباشرة، إذ أنّ الوشاية بأولياء الله، والسعي في خيط رقبتهم، والمتاجرة بدمائهم لا تصدر من رجل ركض في رحم طاهر، وخلق من نطفة نظيفة..

وقد قرأت مرّة في كتاب لا يحضرني الآن اسمه، تعبيراً قاسياً لولا ضرورة البحث كنت أربأ بنفسي عن ذكره، حيث عبّر مؤلّفه عن ابن طوعة قائلاً: «فجاء نغلها»!!

هذا من نتائج القول بخيانة ابن طوعة..

السؤال الثاني:

ما هي الضرورة لأن يخبر ابن طوعة بالخصوص مع أنّ الكوفة كانت مزدحمة، والمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام كان مميّزاً، وقد رآه الناس يدخل بيت طوعة، أو قل على الأقلّ: رآه الراوي ونقل لنا قصّته،

فلماذا لا يعرف ابن زياد إلّا من خلال خيانة ابن المرأة الصالحة؟!

السؤال الثالث:

يلاحظ تكرّر مشهد وقوع المولى الغريب عليه السلام في فخّ الجواسيس، فتقتحمه العيون، وهو ـ والعياذ بالله ـ غافل!!

فرضيّات ممكنة

الفرضيّة الأولى: الأخذ بالمصادر التي تركت المخبر مجهولاً

ربما أمكن الاستناد إلى المصادر التي تركت المخبر مجهولاً من دون نصّ على ابن طوعة، فقد علم ابن الأشعث، أو أنّ رجلاً علم بذلك فأعلمه..

وليكن هذا الرجل ممّن رأى المولى الغريب عليه السلام داخلاً إلى بيت طوعة، فجاء وأخبر..

الفرضيّة الثانية: أن يكون ابن الأشعث كذب عليه

ويمكن افتراض أنّ ابن الأشعث أو غيره من رجال كندة كذب على ابن طوعة أمام ابن زياد، فنسب الإخبار إليه ليكون الدالّ على المولى الغريب عليه السلام هو نفس الذي استضافه.

وبذلك يبرء ساحته أمام ابن الأمة الفاجرة، ويعفي عرافة كندة وابن

الأشعث نفسه من العقوبات المعلنة من قبل ابن زياد لمن استضاف المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام.

الفرضيّة الثالثة: أن يكون ابنها بالتبنّي

يمكن افتراض أنّه كان ابنها بالتبنّي أو باعتباره مولى لابن الأشعث، وهي مولاة لابن الأشعث أيضاً، وربما شهد لهذه الفرضيّة النصوص التي صرّحت بأنّهما موليان لابن الأشعث، كما سمعتها من خلال البحث.

موقفها

هل وقف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليهما السلام على بيتها هكذا من دون تخطيط سابق؟

هل كان ثمّة اتّفاق معها على رجوع المولى إلى بيتها بعد انتهاء الحدث، باعتبار أنّها كانت ممّن خفّ معه، وأنّها امرأة أبعد ما تكون عن عيون السلطان؟

هل استسقى المولى عليه السلام طوعة، فعرفته ودعته إلى بيتها؟

هل كان المولى عليه السلام قاصداً الرجوع إلى بيت هاني، أو إلى بيت آخر كان قد عزم على الرجوع إليه، غير أنّ طوعة دعته فدخل؟

هل خرجت طوعة إلى المولى الغريب عليه السلام ودعته؟

الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها من الاحتمالات تعرّضنا لها خلال

دراسة موقف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فلا نعيد [١].

يبقى هنا الإشارة إلى الدوافع التي دعتها لاتّخاذ الموقف واستضافة المولى عليه السلام، التي يمكن استفادتها من النصوص، وهي على نحوين:

النحو الأوّل: لم تنصّ على شيء

وردت بعض النصوص غامضة مقتضبة لم تنصّ على شيء بعينه يمكن استفادته من سطورها بصراحة، من قبيل قول **الطبري** في إحدى رواياته:

«.. فخرج مسلم فدخل داراً من دوركندة» [٢]..

وهذه النصوص تختزل الموقف، ولاتشير ـ نصّاً ـ إلى دافع خاصّ، وربما أمكن الاستفادة من قول **الطبري** بنحو آخر كما سيأتي إن شاء الله.

النحو الثاني: الإشارة إلى بعض الدوافع

ربما أشارت بعض النصوص إلى دوافع صراحة أو ما يقارب الصراحة، أو أفادت بعد التأمّل وإمعان النظر فيها.

الدافع الأوّل: الرقّة

ربما أفادت بعض المصادر أنّ الذي دفع طوعة إلى قبول استضافة

---

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة»، للمؤلّف.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

المولى الغريب عليه السلام رقّتها وعطفها عليه، وتعاطفها مع غربته ووحدته، وأنّ المولى عليه السلام أثار فيها هذه الروح بعد أن استجاش عواطفها من خلال كلامه وتوصيفه لحاله:

«أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذبني هؤلاء القوم، وغرّوني، فآويني!» (١).

«إنّي أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟!» (٢).

«ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلّي مكافؤك به بعد اليوم!» (٣).

«ما لي بالكوفة منزل، وإنّي غريب قد خذلني من كنت أثق به! فهل لك في معروف تصطنعه إليّ، فإنّي رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافئ بالإحسان!

فقالت: وكيف ذلك؟ ومن أنت؟

فقال مسلم: خلّي هذا الكلام! وأدخليني منزلك عسى الله أن يكافأك غداً بالجنّة!

---

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

فقالت: يا عبد الله! خبّرني اسمك، ولاتكتمني شيئاً من أمرك، فإنّي أكره أن تدخل منزلي من قبل معرفة خبرك، وهذه الفتنة قائمة، وهذا عبيد الله بن زياد بالكوفة.

فقال لها مسلم بن عقيل: إنّك لو عرفتني حقّ المعرفة لأدخلتني دارك، أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب!» (١).

وغيرها من النصوص، التي تفيد أنّ المولى استعطف المرأة الصالحة، واستجاش فيها روح الحفاظ وإعانة الغريب.

وهذه المتون كلّها محكومة بما ذكرناه مراراً في تقييم النصّ التاريخيّ، كما هي محكومة بما نعرفه من شخصيّة المولى عليه السلام من عزّة وإباء ورفعة وسموّ وشجاعة وقوّة وحفاظ، فلا نعيد مناقشتها مفصّلاً اعتماداً على ما ذكرناه في دراساتنا السابقة عن المولى الغريب عليه السلام فليراجع من أحبّ.

الدافع الثاني: إلحاح المولى عليه السلام

تفيد بعض المصادر أنّ طوعة لم تبد استجابة لقبول الضيافة، وطلبت منه الابتعاد عن حريم دارها، وربما أفادت بعض المصادر أنّها أمرته بالقيام والابتعاد، بل حرّمت عليه البقاء، غير أنّها استقبلته وضيّفته بعد أن ألحّ عليها المولى الغريب عليه السلام، واستعطفها.

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٨.

وربما كان هذا الدافع واضحاً من خلال النصوص التي ذكرناها في الحوارات وفي الدافع الأول، فلا نعيد هنا.

والكلام فيها تماماً كما هو الكلام في الدافع الأول.

الدافع الثالث: الاستجارة

قال **ابن سعد**:

«.. وجاء الليل فهرب! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: "طوعة"، فاستجار بها» (١)..

وأفاد **البلاذري** وغيره، وسالت أقلام الكتّاب وتردّد على ألسنة الخطباء والشعراء إجارة طوعة لمولنا الغريب عليه السلام، فربما كان الدافع الذي حداها لتحمّل كلّ الصعاب، وتقبّل جميع العواقب إجارتها المولى عليه السلام إذ استجارها وقبلت الجوار.

ولطالما سمعنا في التاريخ قصص الجوار والدفاع عنه، وليس من الخلق الرفيع أن يهجم المستجير على المستجار به فيرفض إجارته، بل يقبلها ويضحّي بالغالي والنفيس من أجل حفظ الجوار!

فتكون طوعة على هذا الفرض مرغمة على الموقف، وأنّ المولى عليه السلام فاجأها بطلب الاستجارة بها، فاضطرّت إلى قبول ذلك وتحمّل تبعاته!!

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

ونحن نستغفر الله ونستجير بمولانا الغريب عليه السلام من هذا الكلام، وقد ناقشاناه في أكثر من موضع، فلا نعيد، بيد أنّنا نضيف هنا كلمة واحدة:

إنّ القوّي لا يستجير بالضعيف، وإنّما يستقوي الضعيف بالقويّ فيستجير به، ليحميه ويذبّ عنه، ولا نقصد بذلك تضعيف المرأة الصالحة، وإنّما نعتقد أنّ المولى الغريب عليه السلام لم يكن في الكوفة ضعيفاً، ولا نشكّ ـ حسب معرفتنا بآل أبي طالب عليهم السلام وسيوف الحسين عليه السلام ـ أنّ الكوفة كلّها لو استجارت بالمولى الغريب عليه السلام، وهو في تلك الحال لأجارها دون عناء.

الدافع الرابع: موقف الموالي

أشار الشيخ **محمّد مهدي شمس الدين** ـ رحمه الله وحشره مع سيّد الشهداء عليه السلام ـ في كتابه **أنصار الحسين** عليه السلام إلى الدافع الذي دعا طوعة لاتّخاذ هذا الموقف، ورجّح أن يكون ذلك نتيجة سلوك الموالي ومواقفهم مع القيام الحسينيّ، فقال وهو يتحدّث عن علاقة «الموالي بالثورة الحسينيّة ودلالات هذه العلاقة»:

«ومن هذه الإشارات أنّ السيّدة الأرملة التي لجأ! مسلم بن عقيل إلى منزلها بعد أن فشلت! حركته وتفرّق الناس عنه، وهي السيّدة طوعة، كانت مولاة لمحمّد بن الأشعث، وقد

أدخلت مسلم بن عقيل إلى منزلها بمجرّد أن عرفت اسمه، دون أن تبدي أيّ حذر ممّا قد تجرّ عليها استضافته عندها من متاعب، وقد أخفته!! وهي تعلم بأنّه مطلوب من السلطة»...

وقال أيضاً:

«وهل تدلّ استجابة السيّدة طوعة لطلب مسلم بن عقيل وإخفائه في منزلها! بعد أن أعلمها بأنّ أهل الكوفة قد خذلوه، على أنّها قد تصرّفت لموقف نفسي إيجابيّ من الثورة حال بينها وبين أن تفكّر في عواقب تصرّفها؟

لانملك أجوبة حاسمة على هذه التساؤلات، وإن كنّا نرجّح أنّ الاعتبارات السياسيّة والاجتماعيّة في ذلك الحين تدعونا إلى تقديم إجابة موافقة وإيجابيّة.

فنحن نعلم أنّ الموالي كانوا على علاقة وثيقة بالإمام علي بن أبي طالب، ناشئة من سياسة الإمام العادلة التي ساوتهم بغيرهم من المسلمين، وقد نقم بعض زعماء القبائل على هذه العلاقة، فقال الأشعث بن قيس للإمام علي: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء [1] على قربك.

---

(١) الحمراء: هو الاسم القديم الذي أطلق على الفرس المسلمين، ثمّ أطلق على الروم المسلمين. منه رحمه الله.

ومن المؤكّد أنّ هؤلاء كانوا في أيّام يزيد بن معاوية لايزالون يتذكّرون أنّ حياتهم في السنين القليلة لخلافة الإمام علي بن أبي طالب كانت أكثر رخاءاً واستقراراً وكرامة من حياتهم في ظلّ حكم معاوية بن أبي سفيان الذي عاملهم نظامه باحتقار شديد، والذي كان يفضّل أن يقتل ـ بطريقة ما ـ نصفهم خشية من تزايد عددهم، وما يستتبع هذا من مشكلات سياسيّة» (١) ...

إلى آخر ما قاله رحمه الله، ونحن لانستطيع أن نوعز موقفها بدقّة إلى هذا الداعي بعينه، كما أنّنا لانستطيع أن نجزم بأنّها كانت مولاة، لوجود مصادر يمكن الاستفادة منها أنّها كانت من حرائر كندة.

وكذلك نستبعد أن تكون قد اتّخذت الموقف دون «أن تفكّر في عواقب تصرّفها»، أو أنّها كانت غير عارفة بما سيجرّ عليها من عواقب، وهي تعيش في الكوفة تسمع وترى ما يجري فيها من أحداث، وتبلغها أراجيف ابن الأمة الفاجرة وتهديداته.

ولايخفى أنّ موقفها كان يعني الموت الأحمر تماماً، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وهو موقف مشرّف، وباعث على المباهاة والفخر والاعتزاز، وسواء كانت مولاة أو حرّة، فإنّها أدّت ما عليها نصرة للحقّ وأهله..

---

(١) أنصار الحسين عليه السلام لشمس الدين: ١٩١ وما بعدها.

الدافع الخامس: مولاة بني هاشم

بناءاً على قول **الاسفرائينيّ والأستاذ عابدين** فإنّ «طوعة» مولاة لبني هاشم، فيكون المولى الغريب عليه السلام قد قصد داراً من دور مواليهم، وعلى المولى أن يقوم بواجبه تجاه مولاه فيتشرّف بخدمته، ويسعد بضيافته ويتباهى بتشريفه، ويضحّي من أجله.

ويبقى السؤال والتفتيش عنه باعتبار أنّ طوعة امرأة خفرة لم تعرف الرجال بأعيانهم، فسألت عنه، فلمّا تبيّن لها الأمر وطبّقت الشخص الوافد على الاسم الذي تعرفه قامت له بواجب المولاة.

الدافع السادس: كانت ممّن خفّ مع المولى الغريب

قال **الدينوري**:

«.. فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كندة.

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم فآوته وأدخلته بيتها» [1] ...

يمكن الاستفادة من هذا النصّ عدّة فوائد:

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠ ـ ٢٣٩.

الفائدة الأولى: طوعة كانت ممّن شارك

إنّ طوعة كانت ممّن شارك مع المولى الغريب عليه السلام في الأحداث التي جرت عليه، فإذا «كانت ممّن خفّ مع مسلم عليه السلام»، فهي ليست غريبة عن الجوّ، تسمع الأخبار، وتتابع الحدث، وربما كان لها موقف أو مشاركة قبل اللقاء، ولولا ذاك لما صحّ التعبير عنها أنّها «كانت» ممّن خفّ معه عليه السلام.

الفائدة الثانية: احتمال أن يكون المولى قد قصد بيتها

يشهد هذا التعبير لاحتمال أن يكون المولى الغريب عليه السلام قد قصد بيتها باتّفاق مسبق، كما مرّ في بيان موقفه عليه السلام (١)، باعتبار أنّها امرأة غير معروفة ولا مشهورة قبل ذلك اليوم، وكانت قد أخبرت بمجيء المولى عليه السلام إلى بيتها، فربما كانت واقفة على الباب تنتظره، وتعبير المؤرّخ «أنّها كانت تنتظر ابنها» تفسير منه للوقوف.

الفائدة الثالثة: فقدان الحوار واستنكار الوقوف وطلب الإيواء

يلاحظ أنّ النصّ لم يذكر حواراً بين طوعة وبين المولى الغريب عليه السلام، ولا استنكاراً لوقوفه، ولا طلباً منه بالإيواء، «فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم، فآوته وأدخلته بيتها»..

---

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

الفائدة الرابعة: دافع الاستضافة

يكشف النصّ عن دافع مهمّ لاستضافته عليه السلام، فهي لم تستضفه كما في بعض النصوص لأنّها رقّت له، أو لأنّه ألحّ عليها بطلب الدخول، أو أنّه استجار بها فأجارته، أو أنّها تعاطفت معه عليه السلام تعاطف الموالي مع القيام الحسينيّ، وإنّما كانت هي واحدة من أفراده في الكوفة، فأقبل إليها، فأدخلته.

وربما أفاد قول **الطبري** في إحدى رواياته:

«فخرج مسلم فدخل داراً من دوركندة» (١)، من دون التصريح أو الإشارة إلى الدوافع المذكورة آنفاً ما يؤكّد هذا الدافع حيث خرج المولى الغريب عليه السلام ودخل داراً من دوركندة، فكأنّ العبارة تشعر وقوع حدث مترتّب حصل نتيجة تنسيق، وأنّه عليه السلام خرج ليدخل إلى مكان معيّن في دوركندة.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

موقفها في الحرب الأخيرة

اختلفت المصادر في وصفها للحرب الأخيرة التي خاضها المولى الغريب عليه السلام في الكوفة، فمنهم من اقتضب واختصر، ومنهم من قلب الصورة ومارس الكذب المفترع، ومنهم من صوّركما يحلو له، وخلط الساخن بالبارد، والحقّ بالباطل، والحلو بالمرّ، والحقيقة بالزيف، ومنهم من انفرد برسم المشهد كلّه في صورة تنسجم مع مجريات الأحداث، ولكنّها تختلف عن المشهور تماماً، ومنهم من انفرد في نقل بعض الجزئيّات ورواية بعض التفاصيل.

بيد أنّها جميعاً ـ إلّا ما شذّ منها عن الصواب وجانب الحقّ ـ تنبؤ عن يوم مشهود في الكوفة، سجّل فيه البطل الهاشميّ بطولات ذكّرتهم بشجاعة عمّه أمير المؤمنين عليه السلام، وأرعبت أولاد البغايا، وتركت أذناب القردة ترتجف هلعاً ورعباً وخوفاً في جحورها.

وسوف نقسم ما ورد في تلك المصادر إلى أقسام، ونصنّفها تصنيفاً نستعين به بعد استمداد العون والمدد من الله وآل البيت عليهم السلام، على استكشاف الحقيقة واستجلاء الموقف بالمقدار الذي نستفيد منه في بحثنا عن المرأة الصالحة طوعة.

ويمكن تقسيم المصادر بدواً إلى قسمين:

القسم الأوّل: مصادر لم تذكر القتال

نقلت بعض المصادر ما جرى في الكوفة في ذلك اليوم العصيب، حتّى انتهى المولى عليه السلام في حركته إلى دار طوعة، ثمّ نقلت إرسال ابن الأمة الفاجرة في طلبه، ولكنّها قدّمت صورة مشوّهة للمشهد، فجاءت الكذبة فجّة متهاوية لا يستسيغها الذوق.

وتنقسم هذه المصادر إلى مستويين:

المستوى الأوّل: الاختصار

قال ابن سعد:

«.. وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم، فجيء به، فأنّبه وبكّته، وأمر

بقتله» (١).

انفرد (٢) **ابن سعد** بهذه العبارة، وهي عبارة مقتضبة، يمكن حملها على الاختصار، وطيّ الأحداث بعدّة كلمات، كما يمكن حملها على نفي الحدث، وذلك لترتيب الأحداث، وتفريع بعضها على بعض بالفاء، فكأنّه يريد أن يوحي أن كلّ ما وقع هو ما ذكره: بعث إلى مسلم عليه السلام، فجيء به، فأنّبه وبكّته، وأمر بقتله.. وانتهى الأمر بهذه السهولة، واستشهد المولى الغريب عليه السلام بهذه السرعة، والموقف يتحدّث عن إقدام ابن زياد، ولا يشير إلى أيّ ردّ من قبل المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام.

فهي إن كانت بمستوى الاختصار والاقتضاب، فستفصّلها الأخبار في المصادر الأخرى، وإن كانت بمعنى نفي الحدث، فستدخل في المستوى الثاني، ويكذبها مجرّد نسبتها للمولى عليه السلام الذي لا يعطي بيده أعطاء الذليل، ولا يقرّ إقرار العبيد.

وهي ـ على كلّ حال ـ لا تذكر «طوعة» فضلاً عن التعرّض لموقفها.

المستوى الثاني: الاستسلام

صرّحت بعض المصادر باستسلام المولى عليه السلام!! ونحن نستغفر الله

---

(١) الطبقات الكبرى: خ ٥ / ٤٦١.

(٢) إذا قلنا: «انفرد» أو «لم نجد في مصدر» أو ما شاكلها من العبارات فنقصد بذلك حسب فحصنا إلى حين تحرير ذلك.

من هذا التعبير، ونعتذر إلى مولانا، ولولا ضرورة البحث واضطرارنا إلى ذكر سخافات المؤرّخين ووقاحاتهم، لردّها والتنويه إلى عوارها، لكان كسر القلم أولى من تحمّل عفن الجيف التي حشوا بها كتبهم، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قد جاء بها **البلاذري** شوهاء عوراء فقماء، وكذبة بلهاء سوءاء مظلمة سوداء، فأعقبه **الطبري** كما هي عادته في تنميق هراء السابقين عليه، وتزويق كذبهم الذي تنفر منه الطباع، فيعمل فيه بالإضافة والتهذيب، والزيادة والنقصان، فيمزج مرارته المقرفة بما يجعلها مستساغة، ولو على كره، وربما خدعت المستعدّ للخديعة!

قال **البلاذري**:

«فدخل "ابن الأشعث" عليه، وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً، فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير.

فقال: عفوا!!!

قالوا: ما نملك ذلك.

فانطلق معهم فلمّا رآه أمر به فكتف» (١)..

وقال **الطبري** في إحدى رواياته:

---

(١) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤.

«قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالاله: انطلق، الأمير يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقدا!

فقالا: ما نملك ذاك، فانطلق معهما حتّى أتاه فأمر به فكتف» (١)..

الغضنفر الهاشميّ، والليث الطالبيّ، والأسد العقيليّ، يطلب العفو من أبناء البغايا الرخيصات!!

اثنان أو أكثر من أشباه الرجال، والعبيد والفئران يدخلون على البطل الهمام وسيفه في متناول يده، ثمّ يطلب منهم الأمان أو يفوه بكلمة كان الأجدر **بالبلاذري** أن يربأ بنفسه ويحترم عقله، إن كان ثمّة عقل بعد أن كتب هذه الفرية القذرة، ويحترم الأجيال المتعاقبة التي ستقرأ كتابه، ويسمو عن كتابة مثل هذه الترّهات الباهتة..

لقد «نسي الراوي أنّ مسلم بن عقيل عليهما السلام بطل من أبطال بني هاشم، أو أنّه جهل ذلك، أو تجاهله لمصلحة اقتضاها..

يجلس ابن الأمة الفاجرة في ديوانه ويرسل رجلين نكرتين لم يذكرهما التاريخ حتّى بالاسم.. ليلقيا القبض على الغضب

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

الإلهيّ المصبوب على الكفرة وأبناء الأدعياء؟!

رجلان تافهان مجهولان يقتحمان على الليث الطالبيّ عرينه ويدعوانه! يدعوانه إلى الدعيّ ابن الدعيّ؟!

الصاعقة التي نزلت على الدعيّ ابن الدعيّ.. الحمم الحارقة التي أرعبت الجبان.. الريح العاصف المهلك الذي جعل ابن زياد يرتعش مرتجفاً ويهتزّ، ويختفي خلف أسوار القصر..

السيف الصقيل والموت الأحمر الذي أرّق الرعديد، وسلب النوم من عينه، وجعله لا يعرف أين يكون الأمان!

مسلم بن عقيل عليه السلام! يطلب الأمان من رجلين لا يعرفهما، ولا يعرفهما الراوي والمؤرّخ، وبقيا في ظلمات المجهوليّة إلى اليوم؟!

أوليس مسلم حفيد أبي طالب عليه السلام وسفير الحسين عليه السلام وابن عمّه وأخاه؟ وقول إمامه عليه السلام ملء سمعه وقلبه: والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد؟!

مسلم بن عقيل عليه السلام الذي نثر المنيّة في الكوفة نثراً، وأذاقهم الموت كأساً مرّاً، وجعل النوائح النادبات تجوب الكوفة، فلا يفتر لها أنين، ولا يهدأ لها صراخ وعويل ورنين! يطلب عقداً باهتاً من رجلين أفرزتهما الكوفة التي خذلته وتنكّرت للبيعة،

وأرسلهما ابن زياد الذي لا يرعى لله إلّاً ولا ذمّة؟! ويقول: عفواً!!

يبدو أنّ هذه الفرية الساذجة الهابطة بمستوى من السقوط والتفاهة بحيث لا يحسن الاسترسال في مناقشتها، ونكتفي بهذا القدر من الكلام الذي ذكرناه غيرة على المولى الغريب عليه السلام، لا تكذيباً للبهتان، إذ لا يصدّق هذه القصّة من أنعم الله عليه بنعمة العقل والإيمان» (١).

* * * * *

وهذا الخبر ـ على ما فيه ـ يذكر لطوعة موقفاً، إذ يصوّرها وقد أوقدت ناراً، وفي لفظ **ابن سعد** كانت تغسل الدماء عن المولى الغريب عليه السلام، وفي لفظ **الطبري** كان المولى الغريب عليه السلام يغسل الدماء عن نفسه، وربما كان في لفظ **البلاذري** تصحيفاً، أو كان انغماساً في تفاصيل الكذب.

ولا يخفى أنّ تصويره لطوعة وهي تغسل الدماء عن المولى الغريب عليه السلام لا يلزم أن يكون فيه ما يخالف الشرع، كما يزعم البعض، فإنّ صبّ الماء وحده يعبّر عنه «غسل»، فيكفي أنّها كانت تصبّ الماء على جراحات المولى عليه السلام وتطبّبه دون حصول أيّ تماس.

---

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليهما السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة»، للمؤلّف.

ثمّ إنّه المولى مسلم بن عقيل عليه السلام العالم العارف، والفقيه المبرّز من فقهاء آل محمّد عليهم السلام، فهو يعرف ما يصنع.

هذا كلّه على فرض قبول الخبر، وقد ناقشناه.

القسم الثاني: مصادر ذكرت القتال

وهي باقي المصادر غير ما ذكرنا في القسم الأوّل، وسوف نتناولها ضمن روايتين.

الرواية الأولى: خبر ابن قتيبة واليعقوبي

نقلت بعض المصادر القديمة من قبيل **الإمامة والسياسة لابن قتيبة** و**التاريخ لابن واضح اليعقوبي**، خبر مقاتلة المولى الغريب عليه السلام، في سياق يختلف عن سياق المصادر الأخرى، فجاءت مقتضبة غير أنّها أفادت أنّ ابن الأمة الفاجرة بادر فأرسل شرطه إلى المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام وهو في دارته، دون الإشارة إلى أحداث معركة القصر، فخرج إليهم المولى عليه السلام فقاتلهم فأسر.

روى **ابن قتيبة في الإمامة والسياسة** قال:

«.. وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر» (١)..

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢٧٦: ٢ / ٩.

وروى **اليعقوبي في التاريخ** قال:

«ووجّه ـ أي ابن زياد ـ بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحّة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إيّاه» (١)..

وهذا المشهد يختلف تماماً عن المشاهد الأخرى، حيث أنّه لا يروي تفاصيل الخروج إلى القصر، وإنّما يصوّر تقدّم جرذان القصر نحو المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام، أي أنّه يرسم الصورة عكس المشهور تماماً.

ولا يخفى ما لهذين المصدرين من ثقل وقدم..

فأقدم مصدر ـ حسب وفاة المؤلّف ممّا توفّر لدينا ـ هو **ابن سعد (ت ٢٣٠)**، ووفاة **ابن قتيبة** «٢٧٦» وولادته «٢١٣» فهو إذن معاصر لابن سعد.

فرواية **ابن سعد** للأحداث وفق المشهور لم تكن بالتفصيل الوارد في مثل **الطبري** وغيره، وليس لها مرجّح خاصّ يرجّحها على رواية **ابن قتيبة واليعقوبي**.

فالمشهد وارد في مصدرين قديمين لهما وزنهما وثقلهما في عالم التاريخ والتحقيق.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ت ٢٩٢: ٢ / ٢٤٣.

ومفاد خبرهما ينفي كلّ ما رواه **ابن سعد** ومن حذا حذوه، إذ يفيدان أنّ مسلماً عليه السلام كان في دارته وأرسل ابن زياد شرطته إليه، ووقع القتال بينه وبينهم، فلا نداء رفع، ولا عساكر تتجحفل، ولا ناس يموجون، وهكذا بقيّة الأحداث التي تطوّرت عند المؤرّخين كلّما تقدّم بهم الزمن.

وخبرهما يتجاوز الكثير من المحاذير التي كانت تشوب الخبر المشهور، من قبيل ما نسب للمولى عليه السلام من حيرة في أمره، وتلدّد في الشوارع، والمحاذير التي تترتّب على النداء، والخروج إلى القصر، وكثير كثير ممّا جعل المحقّقين والمحلّلين التاريخيّين يقفون موقف الذاهل، أو الباحث عن المسوّغات والمبرّرات للكثير من المشاهد التي ترسمها الرواية المشهورة!

وخبرهما لا يمسّ الثابت التاريخيّ الناصّ على خذلان أهل الكوفة ونكثهم بيعتهم، وتركهم سيّدهم وحده، وتمسّكهم بذنب القرد حبلاً بدل حبل الله الذي أمرهم الله أن يعتصموا به.

وذلك: لأنّهم حسب هذا الخبر أيضاً تخلّوا عن المولى الغريب عليه السلام، بالخصوص في لفظ **اليعقوبي**، فهم لم ينهضوا للذبّ عن مولاهم، ولا الدفاع عنه والوقوف سدّاً منيعاً دون اقتراب أزلام الطاغية الحقير إلى حريم المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام.

ولا يخفى أنّ المشهد ـ حسب ما يصوّره هذان المؤرّخان ـ يهزّ الغيور

من الأعماق، ويخلع قلب المحبّ، فيذوب قلبه دموعاً، إذ يبقى المولى الغريب عليه السلام وحده لاناصر له ولامعين، وتبقى شهادته تصدع الروح وتفتّت الأكباد، غير أنّ خبر طوعة سيختفي، وهذا بنفسه قد يكون محذوراً لايسهل اجتيازه (١).

* * * * *

وبناءاً على هذا الخبر تختفي طوعة، ولايكون لها ولدارها أثر، وينتفي البحث عن طوعة من رأس.

الرواية الثانية: الخبر المشهور

وهي الأخبار المشهورة التي نصّت على أن المولى الغريب عليه السلام قاتل بعد أن دخل بيت طوعة وبات عندها ليلته تلك، ثمّ صبّحته أزلام الطاغية القزم، وقد تناولناها بالتفصيل في بحث «**مسلم بن عقيل عليهما السلام الحرب الأخيرة**».

وقد عرفنا هناك أنّه يمكن أن يستفاد من النصوص أنّ الأعداد المذكورة في أكثر المصادر هي أعداد كبار القوم ووجوههم، كما صرّح **البلاذري**، فقال: «فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمّد ابن الأشعث» (٢)..

---

(١) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

أمّا العسكر والشرطة وخليط الغوغاء فلهم حساب آخر كأنّ أكثر المصادر لم تهتمّ بهم، أو أنّهم كانوا يتحرّكون ضمن أداء المهامّ المناطة بهم في مثل هذه الأحداث، فكلّ من يخرج من الكبراء يجرّ وراءه أتباعه وأذنابه، فروى لنا المؤرّخون الأوامر الصادرة بإرسال رجال قريش، ورجال قيس، وروى لنا ابن أعثم خبر الرجّالة، وروى آخر خبر الفرسان، وهكذا ...

وهذه الأعداد ـ كما يبدو ـ كلّها تتحدّث عن الإرسال الأوّل قبل استغاثة ابن الأشعث وطلبه المدد من ابن الأمة الفاجرة.

ويلزم أن يكونوا من الأشدّاء الأقوياء الخبراء بفنون القتال والحوار، اختارهم الآمر العسكريّ على علم ودراية لمهمّة خاصّة يعلم مدى خطورتها ويعرف المرسل إليه، وقد أتى عليهم البطل الهاشميّ، فبدّد جمعهم، وشتّت شملهم، وأبادهم جميعاً ممّا اضطرّ الخبيث الوسخ ابن الأشعث أن يستنجد بابن زياد ليمدّه بالعَدد والعُدد من جديد.

وكان هؤلاء المقاتلين والغوغاء قد توجّهوا إلى دار طوعة، وهم يريدون الهجوم عليها وعلى ضيفها، وقد أحاطوا بها وحاصروها، فكان دارها مركز الميدان، وإن كان المقصود بالأساس وليّ الرحمن.

دارها ساحة حرب

وقع القتال مع المولى الغريب عليه السلام في منطقة محدودة محصورة تشعر المتون التاريخيّة أنّها كانت منطقة آهلة بالسكّان، داخل الأزقّة وبين الدور والمنازل.

وسواءاً اعتمدنا خبر ابن قتيبة واليعقوبي أو الأخبار المشهورة في غيرها من المصادر، فإنّها جميعاً تفيد أنّ القتال وقع في الموضع الذي كان يقيم فيه المولى عليه السلام، إن كان بيت هاني ودارته، أو دار طوعة في حيّ كندة.

وسوف نستقصي النصوص التي توفّرت لدينا لنحدّد الموضع الذي وقع فيه القتال بالضبط، لمعرفة ما إذا كانت الحرب قد دارت رحاها داخل الدار أو في الزقاق.

والذي يستفاد من أغلب المصادر أنّهم اقتحموا عليه الدار، فقام

إليهم الليث الطالبيّ، فكردهم وأخرجهم، فدارت الحرب في الزقاق، بل أفادت بعض المصادر أنّه عليه السلام كان يخرجهم من الدار، فينجحرون ثمّ يعودون ويعيد الكرّة عليهم، حتّى كرّر ذلك ثلاث مرّات، فاضطرّوا إلى تغيير خطّتهم (١).

وسوف ننظم النصوص في عناوين لعلّها تعيننا على استكشاف الموقع:

الموقع الأوّل: الدارة التي يسكنها مسلم عليه السلام

قال **ابن قتيبة**:

«قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر» (٢)..

خبر **ابن قتيبة** وإن كان يختلف عن المصادر الأخرى في رسم مشهد المعركة، بيد أنّه يفيد أنّ ابن زياد قد بادر إلى إرسال قواته إلى المولى الغريب عليه السلام، وهو في دار ناصره هاني بن عروة، فخرج عليهم بسيفه..

الموقع الثاني: داخل دار طوعة

يفيد نصّ **البلاذري** و**الدينوري** أنّ القتال دار بينهم بعد أن اقتحموا

---

(١) انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليهما السلام الحرب الأخيرة».

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

الدار، ولم يذكرا ما دار خارج الدار، وكأنّ القتال كلّه جرى في عقر دار طوعة.

قال **البلاذري**:

«فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمّد بن الأشعث، فلمّا أحسّ مسلم برسل ابن زياد، خرج بسيفه، واقتحموا عليه الدار» (١) ...

وقال **الدينوري**:

«فأقبلوا حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها، فقاتلهم» (٢)..

الموقع الثالث: خارج دار طوعة:

قال **الطبري** في إحدى رواياته:

«فلم يعلم مسلم حتّى أحيط بالدار، فلمّا رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم» (٣)..

---

(١) أنساب الأشرف للبلاذري: ٢ / ٨١.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

ربما قيل: إنّ قوله: «خرج إليهم بسيفه» ليس نصّاً صريحاً في خروجه من الدار، لأنّهم يعبّرون عن مقابلته لهم بالسلاح بالخروج، كما يلاحظ ذلك في بعض النصوص، وليس المقصود بالخروج التحرّك والانتقال من الداخل إلى الخارج، وإنّما حمل السلاح ومواجهة الأعداء، غير أنّ تعبير **الشيخ الطريحي في المنتخب** صريح في الخروج خارج الدار، وقد أكّده بذكر السبب الداعي لذلك.

قال **الطريحي**:

«ولمّا سمعت المرأة صهيل الخيل وقعقعة اللجم، أقبلت إلى مُسلم وأخبرته بذلك، فلبس درعه وشدّ وسطه، وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟

فقال: ما طلبة القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليّ في الدار ولا يكون لي فسحة ولا مجال.

ثمّ إنّه عمد إلى الباب وخرج إلى القوم، فقاتلهم قتالاً عظيماً حتّى قتل منهم خلقاً كثيراً» (١)..

وفي **مقتل أبي مخنف المشهور**:

«فساروا حتّى أتوا دار العجوز، فسمعت صهيل الخيل وقعقعة اللُّجم وزعقات الرجال فأخبرت مسلم بذلك.

---

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

فقال مسلم: ما طلب القوم غيري، فقال لها: هاتي سيفي.

فقام وشدّ وسطه بمنطقته وتدرّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يهزّ سيفه، فقالت له العجوز: يا سيّدي أراك تأهّبت للموت.

قال: والله أجل لابدّ من الموت.

ثمّ عمد إلى الباب واقتلعه وكان ضخم الدسيعة، وخرج إلى القوم وقاتلهم قتالاً شديداً» (١)..

الموقع الرابع: اقتحموا عليه الدار فأخرجهم مراراً

اختلفت المصادر التي ذكرت اقتحام القوم الدار وإخراجهم منها بقوّة ساعد البطل الهاشميّ في عدد المرّات التي اقتحموها وأخرجوا منها، ويمكن تقسيمها إلى دفعات:

الدفعة الأولى: مرّة واحدة

اكتفى **الطبري** في إحدى رواياته بالقول أنّ المولى الغريب عليه السلام قد أخرجهم من الدار، من دون الإشارة إلى عدد المرّات، فربما استفيد من عبارته أنّ الإخراج وقع مرّة واحدة فقطّ، قال **الطبري**:

«فلمّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنّه قد أتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم

---

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

بسيفه حتّى أخرجهم من الدار» (١)..

الدفعة الثانية: مرّتان

في خبر **المسعودي** أنّه عليه السلام أخرجهم من الدار مرّتين، فاضطرّوا إلى تغيير خطّتهم، فقال:

«فاقتحموا على مسلم الدار، فثار عليهم بسيفه، وشدّ عليهم فأخرجهم من الدار، ثمّ حملوا عليه الثانية، فشدّ عليهم وأخرجهم أيضاً.

فلمّا رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة، وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب، ثمّ يلقونها عليه من فوق البيوت، فلمّا رأى ذلك قال: أكلّ ما أرى من الإجلاب لقتل مسلم بن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس عنه محيص، فخرج إليهم مصلتاً سيفه إلى السكّة، فقاتلهم» (٢)..

الدفعة الثالثة: ثلاث مرّات

روى **ابن كثير** أنّ المولى الغريب عليه السلام أخرجهم ثلاث مرّات، فقال:

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨، نفس المهموم للقمّي: ١١٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٧.

«فلم يشعر مسلم إلّا وقد أحيط بالدار التي هو فيها، فدخلوا عليه، فقام إليهم بالسيف، فأخرجهم من الدار ثلاث مرّات» (١)..

الدفعة الرابعة: عدّة مرّات

أمّا **ابن الأثير** فلم يحدّد عدد حملاتهم عليه داخل الدار، ولا المرّات التي أخرجهم منها المولى عليه السلام، وإنّما ذكرها بعبارة تفيد تكرّر الفعل كثيراً، وربما انطبقت عبارته على الثلاث مرّات فصاعداً، لصدق انطباق الجمع عليها، فقال:

«.. فلمّا سمع الأصوات عرف أنّه قد أتي، فخرج إليهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه فحمل عليهم فأخرجهم مراراً» (٢)..

الموقع الخامس: قاتل خارج الدار فارساً

لم تصرّح المصادر السابقة أنّ المولى الغريب عليه السلام قد قاتل راجلاً أو فارساً، بيد أنّ عباراتهم تشعر أنّه كان يقاتل راجلاً، ويشهد لذلك تكرّر اقتحامهم وإخراجهم، إلّا أن نتصوّر اقتحامهم كان لفناء الدار، والفاصل

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٢.

بين الاقتحام والخروج ليس إلّا السور والباب، فيمكن أن يكون قد قاتل فارساً.

وقد صرّح **ابن أعثم** و**السيّد ابن طاووس** و**ابن نما** وغيرهم أنّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد قاتل فارساً، فقال **ابن أعثم الكوفي**:

«.. وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنّه قد أتي في طلبه، فبادر رحمه الله إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجر بعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب.

قال: فتبسّم مسلم رحمه الله، ثمّ قال: يا نفس! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

ثمّ قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عنّي خيراً! ... ولكن افتحي الباب.

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنّه أسد مغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتّى قتل منهم جماعة» (١)..

وقال **السيّد ابن طاووس**:

«فلمّا بلغوا دار المرأة، وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

درعه، وركب فرسه وجعل يحارب أصحاب عبيد الله حتّى قتل منهم جماعة» (١)..

وقال **ابن نما**:

«فسمع مسلم وقع حوافر الخيل علم أنّه قد أتي، فلبس لامته وركب فرسه وضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا فشدّوا عليه، فقتل منهم جماعة» (٢)..

وفي عبارة **ابن نما** تصريح بقتاله عليه السلام فارساً داخل الدار أيضاً، وكذا في عبارة **ابن أعثم** إشعار بذلك.

وقال **الشيخ القمّي**:

«الظاهر أنّ التصريح بركوب مسلم فرسه من خصائص **السيّد وابن نما**، ولم أظفر بثالث لهما، نعم يأتي عن المناقب ما يدلّ على ذلك، كما أنّه صرّح **المسعودي في مروج الذهب** بأنّ مسلماً قبل وروده بدار طوعة كان راكباً فرسه» (٣)..

* * * * *

كيف كان، فإنّ بداية القتال كانت في دار طوعة، وحسب بعض

---

(١) اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٥٤.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ٣٥.

(٣) نفس المهموم: ١٠٧.

النصوص أنّهم رموا بشعل النيران إلى داخل الدار، وأنّ رحى الحرب كانت تطحن رؤوس الأوغاد بسيف المولى الغريب عليه السلام في فناء الدار وحواليها، فكانت طوعة امرأة في وسط الميدان، ودارها ساحة لعدوان أعداء الله.

موقف المولى عليه السلام حينما علم بوصول الخيل والرجال

أجمعت المصادر على استعداد المولى عليه السلام وتأهّبه للحرب والقتال، ويمكن ملاحظة استعداده عليه السلام على مرحلتين:

المرحلة الأولى: الاستعداد العامّ

كان المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام مبعوثاً خاصّاً من سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة ليستخبر حالهم، ويخبره بمدى ثباتهم على ما جاء في كتبهم إليه، وقد دخل الكوفة والعدوّ الغاشم متسلّط على رقاب الناس، وبيده مقاليد أمور المدينة، ولا فرق بين النعمان بن بشير

وابن الأمة الفاجرة الدعيّ ابن الدعيّ ابن زياد، فكلاهما متعلّقان بأغصان الشجرة الملعونة، فالسلك واحد رغم اختلاف السلوك، ولهذا كان المولى الغريب عليه السلام معرّضاً للخطر والمداهمة في أيّ لحظة من لحظات وجوده المبارك في تلك الديار، ومن شأن القويّ الحاذق أن يكون في حالة إنذار وترقّب لكلّ ما يحدق به، والفطنة من شيم المؤمن، وهذا ما يدعونا للتأكّد من بقاء المولى الغريب عليه السلام على استعداد تامّ طيلة فترة وجوده بين تلك الأفاعي والجرذان.

أضف إلى ذلك بعض الدواعي الأخرى التي سنجملها [1] فيما يلي:

الداعي الأوّل: علمه عليه السلام بشهادته في الكوفة

علم المولى عليه السلام بأنّ الكوفة هي الأرض الموعودة، وأنّه يستشهد بها، باعتبار أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد أخبر بشهادته في حبّ الحسين عليه السلام، وقد أخبره كذلك سيّد الشهداء عليه السلام أنّ خروجه إلى الكوفة يعني نيل درجة الشهادة.

الداعي الثاني: معرفته عليه السلام بالمجتمع الكوفيّ

معرفة المولى عليه السلام بالمجتمع الكوفيّ يوم ذاك وغدره وخيانته، وقد

---

(١) تجد تفصيل ذلك فيما مرّ من دراسات عن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام من قبيل «قصّة معقل»، «ثائر أم سفير»، «معركة القصر»، «بين المسجد الأعظم ودار طوعة» ...

عاصر المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام ما جرى على عمّه أمير المؤمنين وابن عمّه الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام، بل قد لمس ذلك من خلال ما جرى له أيّام تواجده في الكوفة.

الداعي الثالث: إنّه عليه السلام طلبة العدوّ

«لم يكن حفيد أبي طالب عليه السلام ـ الذي لو ولد الناس كلّهم لكانوا شجعاناً، وصهر وابن أخ أمير المؤمنين عليهما السلام أشجع العالمين، وأخ سيّدَي شباب أهل الجنّة الحسين والحسين عليهما السلام والبطل الهاشميّ ـ مسلم بن عقيل عليهما السلام بالذي يعطي بيده إعطاء الذليل أو يقرّ إقرار العبيد.

وهو العالم العارف بالكوفة وأهلها، وبالدعيّ ابن الدعيّ والجرو الأمويّ ابن زياد الذي دخل الكوفة بمهمّة محوّلة له من قبل القرد الأمويّ يزيد تنصّ على طلب مسلم بن عقيل عليهما السلام، فقد روى **الدينوري في الأخبار الطوال** قال:

«فكتب مسلم بن سعيد الحضرميّ وعمارة بن عقبة ـ وكانا عيني يزيد بن معاوية ـ إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعياً للحسين بن علي، وأنّه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النعمان رجل

ضعيف أو متضاعف، والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على يزيد أمر بعهد، فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأمره أن يبادر إلى الكوفة، فيطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة حتّى يظفر به، فيقتله، أو ينفيه..

ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهليّ، وأمره بإغذاذ السير.

فسار مسلم حتّى وافى البصرة، وأوصل الكتاب إلى عبيد الله ابن زياد» (١).

وروى **ابن حجر في الإصابة** قال:

«فكتب الرجل بذلك إلى يزيد، فدعا يزيد مولى له يقال له: "سرجون" فاستشاره، فقال له: ليس للكوفة إلّا عبيد الله بن زياد، وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله، وكان همّ بعزله عن البصرة، فكتب إليه برضاه عنه، وأنّه أضاف إليه الكوفة، وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل، فإن ظفر به قتله» (٢).

وقال **ابن كثير في البداية والنهاية**:

«ثمّ كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم ابن عقيل فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه» (٣) ...

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

(٢) الإصابة: ٢ / ٧٠.

(٣) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣.

وقد اعتقل هاني بن عروة الذي كان يعدّ درعاً ورداءً وحصناً منيعاً وركناً ركيناً للدفاع عن مسلم بن عقيل عليهما السلام، وخذلته عشيرته التي كان يحسب عليها هاني، ويحسب لها ابن زياد..

فمقتضى الحال أن يستعدّ مسلم بن عقيل عليهما السلام للدفاع عن نفسه وعن البقيّة الباقية معه من الموعودين بالفتح، ليتسنّى لهم اللحاق بركب الشهادة (١).

الداعي الرابع: دخول الدعيّ ابن الدعيّ الكوفة

كان دخول الرجس النجس والأرعن النحس ابن زياد إلى الكوفة وما بدر منه، ومن ثمّ اعتقال هاني بن عروة، داعياً كافياً لاستعداد المولى عليه السلام التامّ للمواجهة عندما تقتضي الضرورة أن يسلّ سيفه ليدفع عن نفسه.

المرحلة الثانية: الاستعداد الخاصّ

إضافة إلى ما مرّ قبل قليل، فإنّ المولى عليه السلام قد قضى ـ ليلة ـ على الخبر المشهور ـ في بيت طوعة، وهو في حال أشبه ما يكون بالهدنة التي فرضها الظلام المخيّم في ليل الكوفة الحالك المدلهمّ، وعند الصباح داهمه العدوّ من غير مفاجأة، فقام هذه المرّة مستقبلاً المنيّة استقبالاً،

---

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليهما السلام معركة القصر / دواعي النداء بالشعار».

فقبض عليها بحسامه قبضة شابهة قبضة عمّه أمير المؤمنين عليه السلام، فنثرها على أولئك الأنذال قبل أن يخطبها لنفسه، ويختارها اختياراً، ليكون أوّل فداء هاشميّ يفدي نفسه لسيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام.

قال **ابن أعثم**:

«.. وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنّه قد أتي في طلبه، فبادر رحمه الله إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجر بعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب.

قال: فتبسّم مسلم رحمه الله، ثمّ قال: يا نفس! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

ثمّ قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عنّي خيراً» (١)!..

وقال **الخوارزمي**:

«فسمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، فعلم أنّه قد أتي، فبادر مسرعاً إلى فرسه فأسرجه وألجمه وصبّ عليه درعه واعتجر بعمامته وتقلّد سيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة ويلهبون النار في هواري القصب، فتبسّم مسلم ثمّ قال: يا نفسي! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

ثمّ قال للمرأة: رحمك الله وجزاك خيراً.. فافتحي الباب، ففتحته وخرج مسلم في وجوه القوم كالأسد المغضب» (١)..

وقال **السيّد ابن طاووس:**

«.. وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس درعه، وركب فرسه» (٢)..

وقال **ابن نما:**

«فسمع مسلم وقع حوافر الخيل علم أنّه قد أتي، فلبس لامته وركب فرسه» (٣)..

وقال **الطريحي:**

«ولمّا سمعت المرأة صهيل الخيل وقعقعة اللجم، أقبلت إلى مسلم وأخبرته بذلك، فلبس درعه وشدّ وسطه وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟

فقال: ما طلبة القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليّ في الدّار ولا يكون لي فسحة ولا مجال» (٤)..

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٤، العوالم للبحراني: ١٧ / ٢٠٣، نفس المهموم للقمّي: ١١١.

(٢) اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٥٤.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ٣٥.

(٤) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

وقال أبو مخنف (المشهور):

فسمعت صهيل الخيل وقعقعة اللُّجم وزعقات الرّجال فأخبرت مسلم بذلك.

فقال مسلم: ما طلب القوم غيري، فقال لها: هاتي سيفي.

فقام وشدّ وسطه بمنطقته وتدرّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يهزّ سيفه، فقالت له العجوز: يا سيّدي أراك تأهّبت للموت.

قال: والله أجل لابدّ من الموت» (١)..

أرأيت عظيماً في الورى مثل مسلم عليه السلام بعد استثناء من استثناهم الله، يخرج إلى الموت متبسّماً، فهي الأمنية الموعودة التي بشّره بها أصدق الخلق، ويتهلّل وجهه الوضّاء للقاء الله سالكاً أحبّ السبل إليه وهو القتل في سبيله، المتمثّل بشخص حبيب الله وسيّد الشهداء الحسين السبط عليه السلام.

* * * * *

من هنا نعرف أنّ المرأة الصالحة طوعة كانت في تلك الليلة على استعداد تامّ، تعيش حالة الترقّب والإنذار، وتتوقّع هجوم الخيل والأعداء في أيّ ساعة، وقد أعدّت واستعدّت بما يناسبها ويليق بشأنها كامرأة داخل الميدان، وتريد أن تخوض حرباً ليس فيها ناصر ولا أعوان، إلّا الله وسيف ضيفها البطل الهاشميّ.

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

موقف طوعة

ما أعسر على المضيّف أن يرى الخطر محدقاً بضيفه، وهو لا يقدر أن يدفع عنه.

امرأة عجوز ضعيفة، ترى الخيل والرجال محدقة بدارها، وقد صكّ سمعها «صهيل الخيل وقعقعة اللجم» القادمة إليها يقودها العمى، ويدفعها الغيّ والبغي والعدوان والحقد والضغينة تريد أن تختطف منها ضيفها، فماذا عساها أن تفعل؟

قال **ابن أعثم**:

«ثمّ قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عنّي خيراً.. ولكن افتحي الباب.

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنّه أسد

مغضب» (١)..

وقال **الطريحي**:

«ولمّا سمعت المرأة صهيل الخيل وقعقعة اللجم، أقبلت إلى مسلم وأخبرته بذلك، فلبس درعه وشدّ وسطه وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟

فقال: ما طلبة القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليّ في الدّار ولا يكون لي فسحة ولا مجال» (٢)..

وقال **أبو مخنف (المشهور)**:

«فسمعت صهيل الخيل وقعقعة اللُّجم وزعقات الرّجال فأخبرت مسلم بذلك.

فقال مسلم: ما طلب القوم غيري، فقال لها: هاتي سيفي.

فقام وشدّ وسطه بمنطقته وتدرّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يهزّ سيفه، فقالت له العجوز: يا سيّدي أراك تأهّبت للموت.

قال: والله أجل لابدّ من الموت» (٣)..

أجل! فعلت ما بوسعها وبذلت غاية مجهودها، رغم كبر سنّها

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

(٣) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

وغربتها ووحدتها في ذلك المصر الموحش المتوحّش.

ويمكن تلخيص موقفها بالإقدامات التالية المستفادة من النصوص المذكورة آنفاً:

الإقدام الأوّل: إخباره

لاشكّ أنّ مسلماً عليه السلام لم يكن غافلاً، ومقتضى الحال أنّه سمع ما سمعت، وهو لم يفاجأ بقدوم الأوباش أبداً، كما نصّ على ذلك **ابن أعثم** في **الفتوح** وغيره: «وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال فعلم أنّه قد أتي في طلبه»، فإخبارها له يترجم موقفها واهتمامها، ومشاركتها له ومواساتها بمقدار ما يتّسع لامرأة عجوز أن تشارك وتواسي.

فهي تريد أن تستجيشه، وتحذّره، وتثير الحماس فيه، وإن كان المولى الغريب عليه السلام في غنى عن ذلك إلّاأنّها تفعل ما تستشعر فيه المشاركة والمواساة، فأخبرته خوفاً عليه، وأخبرته ليستعدّ للقاء القوم، وأخبرته لتظهر كوامنها ومخاوفها وما يعتمل في أعماقها.

تريده أن يبادر إلى سلاحه، وهي تعرف شجاعته وشهامته وبسالته وبطولته، فلا تريد أن يؤخذ غرّة، وإن كان المولى عليه السلام عالماً، وكانت هي أيضاً تعلم أنّه قد سمع صهيل الخيل وقعقعة اللجم، إلّاأنّها تريد أن تعلن

أنّها أيضاً في حال استعداد، فبادرت إلى إخباره..

الإقدام الثاني: ناولته سلاحه

رغم أنّ طوعة كانت امرأة عجوزكبيرة السنّ إلّاأنّها كانت ـ على ما يبدو ـ تمتاز بقوّة بدنيّة متماسكة، ومواقف متوازنة، وسكينة ووقار، وطمأنينة وثبات، إذ لم تأبه بخيل الشيطان ورجله، ولم ترتبك حينما سمعت الزعقات والصهيل والقعقعة، ولم تعبأ بالعسكر القادم، ولم يرمش لها طرف متأثراً بوميض السيوف والرماح وبريقها، وبقيت إلى جنب المولى الغريب عليه السلام ثابتة القدم، رابطة الجأش، قويّة الجنان، لم يغفلها العسكر المتراكم بما أجلب عن مراعاة الأدب مع العظماء، ورعاية شؤونهم وخصوصيّاتهم.

فالعظيم إذا أراد أن يتقدّم إلى القتال يسارع إليه الخواصّ لتقديم الخدمة وتجهيزه، فيقدّمون له الجواد، ويسوّون عليه ثيابه إذا استوى على ظهر الفرس، ويناولونه سلاحه، وغير ذلك من مراسم التعظيم والتبجيل والتقدير والاحترام.

وقد سارعت طوعة إلى أداء تلك المراسم مع البطل الهاشميّ، ولم تتركه وحيداً في تلك الساعة العصيبة..

بارك الله في ساعدها الذي حمل سيف البطل الهمام من آل خير

الأنام مسلم بن عقيل عليهما السلام.

الإقدام الثالث: فتح الباب

لا يتصوّر أحد أنّ ما قامت به هذه الحرّة أمراً بسيطاً، فهي قد بذلت غاية المجهود بحكم كونها امرأة عجوز غريبة في ذلك المصر، وفتح الباب ليس بالأمر الهيّن في تلك الساعة التي تدافعت فيها الخيل والرجال تريد اقتحام الدار.

فهي حينما أقدمت على فتح الباب يعني أنّها عرّضت نفسها للهجمة الأولى، ولكنّها كانت مطمئنّة واثقة من شهامة البطل الهاشميّ وسرعة مبادرته لصدّ هجومهم.

كما أنّها حينما بادرت إلى فتح الباب يعني أنّها وظّفت عامل المفاجأة، إذ كان العدوّ يحسب أنّه سيقتحم الدار، لأنّ البطل المطلوب سيكون مشغولاً بفتح الباب، فيما كان الباب يفتح بيد غيره، ويكون المولى عليه السلام جاهزاً للمواجهة مباشرة بعد فتحه.

ويكشف إقدامها على فتح الباب عن مدى شجاعتها ومواصلتها لنصرة الغريب، وحضورها في ميدان المواجهة والقتال العنيف مهما كان في ذلك من التعرّض للخطر واستقبال صدور الخيل وحوافرها..

الإقدام الرابع: التلهّف والتحسّر

«قالت طوعة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟».

يمكن أن يفهم هذا السؤال بعدّة فهوم:

الفهم الأوّل: الحسرة والتلهّف

سؤال ربما يبدو عفويّاً يصحر عن عمق حسرتها وتلهّفها على المولى الغريب عليه السلام، ويكشف عن كوامن حبّها وعطفها ورقّتها وحرقتها على عترة النبيّ صلى الله عليه وآله، وأسفها وأساها وحزنها عليه، فهو سؤال يتضمّن فحوى قول السيّدة الصدّيقة الصغرى لسيّد الشهداء عليه السلام عصر التاسع من المحرّم حينما سمعته ينعى نفسه بأبيات (١)، فوثبت تجرّ ثوبها وإنّها لحاسرة (٢) حتّى انتهت إليه، فقالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت أمّي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن! يا خليفة الماضي وثمال الباقي، يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل!

فقال عليه السلام: نعم يا أختاه.

فقالت زينب: وا ثكلاه ينعى الحسينُ عليه السلام إليّ نفسه.

---

(١) ذكرنا المثال لفهم الموقف، والقياس مع الفارق في كلّ الأطراف.

(٢) قولهم: «لحاسرة» باعتبار أنّ كلّ ما جرى كان داخل المخيّم، وربما كان بمعنى أنّها لم تلبس ما يغطّي وجهها، وهي داخل الخيمة.

وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أمّ كلثوم تنادي: وا محمّداه! وا عليّاه! وا أمّاه! وا أخاه! وا حسيناه! وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله!

فنظر إليها الحسين عليه السلام.. وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو ترك القطاة لنام.

فقالت: يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي، ثمّ لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقّته، وخرّت مغشيّا عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام، فصبّ على وجهها الماء وقال لها: يا أختاه تعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة، فعزّاها بهذا ونحوه (١)..

الفهم الثاني: التعجّب

إنّها إنّما سألته هذا السؤال لأنّها كانت واثقة مطمئنّة إلى شجاعة

(١) انظر: الإرشاد للمفيد: ٢ / ٩٣، اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٨١، إعلام الورى للطبرسي: ٢٣٩.

المولى عليه السلام وقوّته وسطوته في الحرب، وأنّ الكوفة لو اجتمعت عليه بقضّها وقضيضها لحصدها بسيفه، ولأذاقها الموت غصصاً تترى، فهي تعجب من استعداده للموت مع ما تعرفه فيه من شجاعة وقوّة، فأخبرها المولى الغريب عليه السلام أنّه الموت الذي لابدّ منه، وأنّه اليوم الموعود المبشّر به من قبل، وأنّه قد استنفذ مهامّه، واستكمل ما عهده إليه إمامه عليه السلام، ولم يبق منها إلّا درجة الشهادة التي وعده بها سيّد الشهداء عليه السلام.

الفهم الثالث: إثارة الحماس

أضف إلى ذلك أنّ سؤالها في مثل هذا الموقف يشعر بإثارة الحماس، وشدّ العزم، والتحريض على القتال.

فهي تريد أن تؤدّي ما عليها، وإن كان البطل الهاشميّ لا يستوحش من الوحدة، ولا يهمّه فقدان الناصر، بيد أنّها تستثير همّته وتواسيه في نفسه، وتخبره بسؤالها أنّها لازالت صامدة ثابتة على نصرته، وأنّه ليس وحيداً.

دعاء المولى عليه السلام وبشارته لها

قال **ابن أعثم في الفتوح والخوارزمي في المقتل:**

«ثمّ قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عنّي خيراً!» (١)..

وقال **القمّي في نفس المهموم** نقلاً عن **كامل البهائي:**

«فلمّا سمع مسلم صهيل الخيل عجّل في دعائه الذي كان مشغولاً به، ثمّ لبس لامته، وقال لطوعة:

قد أدّيت ما عليك من البرّ والإحسان، وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد الإنس والجانّ.

ثمّ قال: إنّي رأيت البارحة عمّي أمير المؤمنين عليه السلام في المنام، فقال لي: أنت معي غداً» (٢).

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨.

(٢) نفس المهموم للقمّي: ١٠٦ عن كامل البهائي: ٤ / ٣٢، مقتل الحسين عليه السلام ←

* * * * *

نالت هذه المرأة الصالحة دعوات وشهادات وأوسمة من سفير سيّد الشهداء وأخيه، يمكن إجمالها وفق النصوص بما يلي:

أوّلاً: دعاؤه لها بالرحمة

«قال لها: أي رحمك الله».

يحتمل قوله عليه السلام هذا أن يكون دعاءاً، كما هو ظاهر العبارة، ودعاء المولى الغريب عليه السلام مستجاب.

ويحتمل أن يكون إخباراً بشهادة السياق والابتداء بـ«أي».

ثانياً: جزّاها خيراً

قال عليه السلام: «وجزاك عنّي خيراً».

وهذه العبارة تشبه العبارة السابقة في احتمال كونها دعاءاً أو إخباراً.

وعلى كلي التقديرين، فقد جعل المولى الغريب عليه السلام المجازي لها عنه ربّ العالمين، وكفى به جازياً ومثيباً.

* * * * *

للمقرّم: ١٥٨.

ربما دعا لها بهذا الدعاء، تقديراً لموقفها، وتثميناً لجهودها، وإكراماً لمناصرتها تماماً كما يفعل كلّ من يريد أن يقدّم شكراً لأحد على صنيع الخير.

وربما دعا لها بهذا الدعاء لأنّه عليه السلام يعلم أنّه سينال الشهادة، فليس له متّسع في هذه الدنيا حتّى يجازيها هو بنفسه، فجعل جزاءها على الله القويّ المتين.

وربما كان دعاؤه تعبيراً عن عظيم صنيعها وجميل فعلها بحيث لا يكون في وسعة الإنسان المحكوم بقيود الدنيا أن يجازيها عليه، فلابدّ أن يكون الجزاء على المطلق الذي لا يحدّه حدّ.

ثالثاً: شهادته عليه السلام بالأداء

في **الكامل** قال عليه السلام: «قد أدّيت ما عليك من البرّ والإحسان».

شهادة من المولى الغريب عليه السلام للمرأة الصالحة بأداء ما عليها من البرّ والإحسان.

وتعدّ هذه الشهادة وساماً مشرقاً يحقّ لطوعة أن تفتخر وتتباهى به على طول الزمان، وترفعه إلى مقام النبيّ والأئمّة المعصومين وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، لتحوز به رضاهم بعد أن نالت هذه الشهادة العظمى من المولى الغريب عليه السلام.

فهي لم تقصّر في المودّة والبرّ والإحسان للعترة الطيّبة، ولم تدّخر جهداً في نصرتهم والنصيحة لهم، فهنيئاً لها وسام الشرف الرفيع، والمقام المكين عند سادات العالمين عليهم السلام.

رابعاً: الشفاعة

قال عليه السلام: «وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد الإنس والجانّ».

هنا تبدو عبارة المولى عليه السلام إخباراً تأكيديّاً واضحاً جاء بصيغة الماضي «أخذت»، فهي قد حازت شرف نيل الشفاعة من صاحب الشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفازت بالحظّ الأوفر والنصيب الأكبر بضمان سفير الحسين عليه السلام وكفالته.

خامسا: البشارة بالمقام الرفيع

«ثمّ قال: إنّي رأيت البارحة عمّي أمير المؤمنين عليه السلام في المنام، فقال لي: أنت معي غداً».

قرأ جملة من الفضلاء «أنت» بالفتح، وجعلها ضمير مذكر، فيكون المعنى: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر المولى الغريب عليه السلام أنّه معه غداً يوم القيامة.

وقرأها آخرون «أنت» بالكسر، وجعلها ضمير مؤنث، فيكون المعنى:

أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر المولى الغريب عليه السلام أنّ طوعة ستكون معه غداً يوم القيامة.

ويمكن الاستشهاد لهذا الفهم:

أوّلاً: السياق

يلاحظ أنّ سياق كلام المولى الغريب عليه السلام يجري على وتيرة واحدة في كلّ عباراته من خلال الدعاء والثناء على موقف المرأة الصالحة، وتقديم الجزاء لها من خلال البشائر بقيامها بالواجب وأدائها ما عليها ونيلها الشفاعة بنصيب وافر من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فيناسب أن تكون هذه بشارة أخرى لها عن مقامها ومنزلتها في القيامة بعد أن أخذت نصيبها من الشفاعة، فتكون مع المولى الغريب عليه السلام الذي ناصرته وبذلت المجهود في الوقوف معه.

ولا يستبعد لها هذه المنزلة إذا عرفنا كرم أهل البيت عليهم السلام وعترة النبيّ صلى الله عليه وآله، خصوصاً إذا قرأنا الروايات المستفيضة التي تتحدّث عن فضلهم وكرمهم في إدراج شيعتهم ورفعهم إلى منازلهم، وكم من حديث صحيح عبّر فيه النبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم بقوله: «فهو في درجتي» أو «معي» أو «في درجتنا» أو «معنا»، وربما تجدها كثيراً أجراً للأعمال الولائيّة وزيارات سيّد الشهداء وغيره من الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

ثانياً: منزلة المولى الغريب عليه السلام

إنّ منزلة المولى الغريب عليه السلام منزلة معروفة، وهو من رجال الصفّ الأوّل والطراز المقدّم في مراتب آل الله بعد الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولا شكّ أنّه عليه السلام سيكون غداً مع عمّه وأبي أخيه الحسين عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام، فلابدّ أن تكون البشارة والحال هذه للمرأة الصالحة.

* * * * *

أجل! قد يقال: إنّ بشارة أمير المؤمنين عليه السلام كانت للمولى الغريب عليه السلام بمعنى اللحاق به، وأنّه سيكون هذا اليوم هو آخر أيّام الدنيا بالنسبة له عليه السلام، وسيكون غداً مع أمير المؤمنين عليه السلام بعيداً عن الأوغاد والملاعين، فيكون بمعنى إخباره باللحاق به في عالم الآخرة مقابل عالم الدنيا.

فيكون إخبار المولى الغريب عليه السلام لطوعة ـ حينئذ ـ وداعاً لها، وأنّه قد بشّره أمير المؤمنين عليه السلام بالشهادة، وأنّه راحل عنها غداً.

خاتمتها

لقد هدّد ابن الأمة الفاجرة ابن زياد كلّ من يتعاون مع المولى الغريب عليه السلام ببراءة الذمّة منه، وإهداردمه، وبإسقاط العرافة من العطاء، وكان قد أخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال في إحدى هذياناته من فوق الأعواد:

اكتبوا إليّ الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين! ومن فيكم من الحروريّة، وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته ألّا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه.

وأيّما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين! أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء، وسيّر إلى

موضع بعمان الزارة (١).

وقال أيضاً في كلام له:

«.. فبرئت ذمّة الله!!! من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديّته» (٢)..

وهذا الوغد الحقير معروف بالانتقام والحقد والضغينة المتراكمة في أعماقه منذ انعقاد نطفته المركّبة القذرة، وهو في وقت يريد أن يفرض فيه واقعاً مرعباً، وإرهاباً كابحاً، وترويعاً مانعاً يزدري به الناس ويستخفّهم ليطيعوه..

فيلزم أن يقدم على ردّ فعل يكون عبرة لمن اعتبر، ونكالاً لمن أراد أن يتخطّى حدود ما رسمه اللعين في الكوفة..

فهل تمادى على المرأة الصالحة ونفّذ تهديداته ووعيده؟

هل قتلها وهدم دارها وأسقط عرافة من انضوت تحت عرافته؟

هل أسقط العرافة التي تنتمي إليها طوعة من العطاء؟

أم أنّ اللعين اعتبر خيانة ابنها ـ حسب المصادر ـ شفيعاً لها فتركها؟

أو أنّ ابن الأشعث افترى على ابنها ونسب الخيانة له ليكون عذراً لها؟

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

أو أنّ وجهاء كندة تدخّلوا فأنقذوها من مخالبه؟

أو أنّه اعتبرها امرأة خارجة عن دائرة التهديد فتركها؟

لم يسعفنا التاريخ ـ حسب فحصنا ـ بجواب لهذه التساؤلات، ربما وفّق الله من يجد الجواب (١).

---

(١) قال السيّد جواد شبر ـ رحمه الله وحشره مع سيّد الشهداء عليه السلام ـ في بعض مجالسه المطبوعة باسم «المناهج الحسينيّة»: ١٢٦:

عدئذ وجّه بهم ـ أي وجّه ابن زياد بالأسارى ـ إلى دار جنب قصر الإمارة، زينب قالت للجارية: قفي على الباب، لا تدخل عليّ نساء الكوفة إلاّ أمّ ولد أو مملوكة، فإنّهنّ سبين كسبينا.

بينما الجارية واقفة وزينب جالسة مع أخواتها، وإذا تنظر امرأة محنيّة الضلوع دخلت عليها، وهي تنتحب، صاحت زينب: يا نساء الكوفة! ألم أقل لا تدخلنّ عليّ! وإذا المرأة تنادي: سيّدتي، والله ما جئت شامتة ولا متفرّجة، وما أنا بعدوّة لكم أهل البيت، سيّدتي أنا طوعة أجرت! ابن عمّك مسلم بن عقيل، بلغني أنّ معكم يتيمة لمسلم، لها وصيّة من أبيها..

قالوا في طوعة

السيّد حسين البراقي (ت ١٣٣٢):

«طوعة: ... حازت شرف التاريخ، إذ عرفت قيمة الفضيلة، بينما قومها ضيّعوا هذا الشرف الخالد وغرّتهم المطامع» [١]..

السيّد المقرّم:

«لقد كان في الكوفة ممّن تحلّى بسمات الرجال المهذّبين الذين لم تلم بساحتهم أيّ لائمة، ولاتوجّهت إليهم مغبّة، وأنّه ذلك الإنسان الواحد الحاوي للشرف المعلّى، والذكر الخالد والثناء الجميل، وحضى بالرضوان مع حبيب الله وخاتم رسله، ألا

---

(١) تاريخ الكوفة للبراقي: ٣٢٨.

وهي "طوعة".

ولو كنّ النساء كمن ذكرنا لفضّلت النساء على الرجال
فلا التأنيث باسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

أصحيح أنّ امرأة تفوق الرجال في الفضائل والفواضل؟ نعم إنّ ذلك لما أجنته في أضالعها من طهارة النفس، وشرف المنبت، والولاء الصحيح لأهل هذا البيت، فقامت بما يرضي الله ورسوله ويحبّذه الشرف والإنسانيّة، ويدعو إليه الخطر، والناس يتمايزون بالنفسيّات الكريمة والغرائز الطيّبة والعمل الصالح.

وماذا على "طوعة" وقد طاوعتها نفسها على متابعة العقل واقتصاص أثر الدين وأداء أجر الرسالة بإيواء ابن عمّ سيّد الشهداء وممثّله الفذّ، فتحلّت بما تخلّى عنه ذووا الهمم القاصرة والنفوس الضعيفة والحلوم الضئيلة، فشعّ نورها بين هاتيك الظلم المدلهمّة كما شاع ذكرها في الجوامع والزبر، وفي ثنايا الحقب والأجيال المتتالية فهي حيّة بعمرها الثاني حتّى يسكنها الله تعالى الخلد محبورة في جوار المصطفى ووصيّه المرتضى» (١).

---

(١) الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام للسيّد المقرّم: ١٣٥.

الشيخ عبد الواحد المظفّر:

«إنّ الولاء والحبّ الراسخ في قلب هذه المرأة لأهل البيت عليهم السلام ليبعثها على التردّد إلى ذلك البيت الذي اختبأ!! فيه البطل الطالبيّ [١]، ويحثّها على الإكثار من الولوج عليه لتوفية حقّ الخدمة إذ كانت له عندها ثلاثة حقوق:

حقّ الولاء، وحقّ الجوار! والضيافة، وحقّ الولاء والتابعيّة» [٢] ...

الشيخ باقر شريف القرشي:

«طوعة هي سيّدة من في المصر رجالاً ونساءاً بما تملكه من إنسانيّة ونبل» [٣]..

الأستاذ محمّد نعمة السماوي:

«.. موقف طوعة المرأة الشجاعة التي آوت مسلماً رغم علمها بقسوة الجلاد، وقد اهتمّت به وأفردت له غرفة في منزلها وحاولت أن تكتم على وجوده لديها، ولعلّ عواطف الرحمة

---

(١) أرأيت بطلاً يختبأ من عدوّ ؟!

(٢) سفير الحسين مسلم بن عقيل عليهم السلام: ٨٩.

(٣) حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليهم السلام للشيخ باقر شريف القرشي: ١٥٦.

والحبّ لآل الرسول صلى الله عليه وآله قد أظهر تلك المرأة بذلك المظهر الفريد لتتميّز علماً بين قريناتها عندما سجّلت ذلك الموقف الشجاع باستضافة مسلم رغم كلّ الأخطار المحتملة» (١)..

(١) موسوعة الثورة الحسينية لمحمد نعمة السماوي: ٥ / ٦١.

موادّ البحث

إنّ ما مرّ من دراسة وبحث احتوت على نصوص تكرّر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحاظات شتّى مختلفة.

وثمّة نصوص أخرى استفدنا منها مرّة واحدة بحكم الحاجة إليها.

وسنذكر هنا النصوص الأكثر استخداما، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف ما فاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فلم نثبته، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من مواضع البحث أن نرجع إلى المصدر، فإنّه سيجده هنا، إن شاء الله تعالى.

ابن سعد (ت ٢٣٠):

يقال لها: طوعة، فاستجاربها.

وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس، فأخبربه عبيد الله ابن زياد، فبعث إلى مسلم، فجيء به، فأنّبه وبكّته، وأمر بقتله» (١).

ابن قتيبة (ت ٢٧٦):

«قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر.

فلمّا أسر بعث الرجال، فقال: اسقوني ماءاً، قال: ومعه رجل من بني أبي معيط، ورجل من بني سليم يقال له: شهربن حوشب، فقال له شهربن حوشب: لاأسقيك إلّامن البئر، فقال المعيطي: والله لانسقيه إلّامن الفرات.

قال: فأمرغلاماً له، فأتاه بإبريق من ماء، وقدح قوارير ومنديل.

قال: فسقاه، فتمضمض مسلم، فخرج الدم، فما زال يمسح الدم، ولايسيغ شيئاً منه حتّى قال: أخّروه عنّي» (٢) ...

---

(١) الطبقات الكبرى: خ ٥ / ٤٦١.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

البلاذري (ت ٢٧٩):

«فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمّد بن الأشعث، فلمّا أحسّ مسلم برسل ابن زياد، خرج بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمريّ ضربتين، فضرب بكير فم مسلم، فقطع شفته العليا، وأسرع في شفته السفلى، فنصلت ثنيّتاه، وضرب "مسلم" بكيراً ضربة على رأسه وأخرى على حبل عاتقه.

"وأخذ مسلم" فأتي به ابن زياد، وقد آمنه "محمّد" ابن الأشعث فلم ينفّذ أمانه» (١)..

البلاذري:

«فجاء رجل إلى محمّد بن الأشعث وهو جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك، فقال "ابن الأشعث" لابن زياد: إنّه قال لي: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال: ائتوني به.

فدخل ابن الأشعث عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً، فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير.

فقال: عفواً.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

قالوا: ما نملك ذلك.

فانطلق معهم فلمّا رآه أمر به فكتف» (١)..

الدينوري (ت ٢٨٢):

فقال ابن زياد: ما سارّ به ابنك ؟

قال: أخبرني إنّ مسلم بن عقيل في بعض دورنا.

فقال: انطلق، فأتني به الساعة.

وقال لعبيد بن حريث: ابعث مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبيّة أن تقع.

فأقبلوا حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها، فقاتلهم، فرمي، فكسر فوه، وأخذ، فأتي ببغلة فركبها، وصاروا به إلى ابن زياد» (٢)..

اليعقوبي (ت ٢٩٢):

«فقام فخرج من عنده، ووجّه بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحّة نيّاتهم، فقاتل عبيد الله، فأخذوه، فقتله عبيد الله» (٣)..

---

(١) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

الطبري (ت ٣١٠)، الشجري، المزّي، ابن حجر:

«فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزوميّ ـ وكان صاحب شرطه ـ إليه، ومعه عبد الرحمن ابن محمّد بن الأشعث، فلم يعلم مسلم حتّى أحيط بالدار، فلمّا رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيد الله» (١)..

الطبري:

«فنخس بالقضيب في جنبه ثمّ قال: قم فأتني به الساعة.

قال **أبو مخنف**: فحدّثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي: أنّ ابن الأشعث حين قام ليأتيه بابن عقيل بعث إلى عمرو بن حريث، وهو في المسجد خليفته على الناس: أن ابعث مع ابن الأشعث ستّين أو سبعين رجلاً كلّهم من قيس ـ وإنّما كره أن يبعث معه قومه، لأنّه قد علم أنّ كلّ قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل ـ فبعث معه عمرو ابن عبيد الله بن عبّاس السلميّ في ستّين أو سبعين من

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

قيس، حتّى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلمّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنّه قد أتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار.

ثمّ عادوا إليه، فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمريّ ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأشرع السيف في السفلى، ونصلت لها ثنيتاه، فضربه مسلم ضربه في رأسه منكرة، وثنّى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه.

فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثمّ يقلبونها عليه من فوق البيت.

فلمّا رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكّة فقاتلهم، فأقبل عليه محمّد بن الأشعث فقال: يا فتى، لك الأمان، لا تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم، وهو يقول:

أقسمت لا أُقتَل إلّا حرّا ... وإن رأيت الموت شيئاً نكرا

كلّ امرئ يوماً ملاق شرّا ... ويخلط البارد سخناً مرّا

ردّ شعاع الشمس فاستقرّا ... أخاف أن أكذب أو أغرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لاتكذب ولاتخدع ولاتغرّ، إنّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولاضاربيك، وقد أثخن بالحجارة، وعجز عن القتال وانبهر، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فدنا محمّد بن الأشعث فقال: لك الأمان، فقال: آمن أنا؟ قال: نعم، وقال القوم: أنت آمن، غير عمرو بن عبيد الله بن العبّاس السلميّ، فإنّه قال: لاناقة لي في هذا ولا جمل، وتنحّى.

وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم.

وأتي ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه من عنقه، فكأنّه عند ذلك آيس من نفسه، فدمعت عيناه، ثمّ قال: هذا أوّل الغدر، قال محمّد بن الأشعث: أرجو ألّا يكون عليك بأس، قال: ما هو إلّا الرجاء، أين أمانكم! إنّا لله وإنّا إليه راجعون! وبكى.

فقال له عمرو بن عبيد الله بن عبّاس: إنّ من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك.

قال: إنّي والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي لحسين وآل حسين!

ثمّ أقبل على محمّد بن الأشعث فقال: يا عبد الله، إنّي أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير! تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه إلّا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خرج غداً هو وأهل بيته، وإنّ ما ترى من جزعي لذلك، فيقول: إنّ ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن يمسي حتّى يقتل، وهو يقول: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرّك أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ، ولأعلمنّ ابن زياد أنّي قد أمنتك.

قال **أبو مخنف**: فحدّثني جعفر بن حذيفة الطائيّ ـ وقد عرف سعيد بن شيبان الحديث ـ قال:

دعا محمّد بن الأشعث أياس بن العثل الطائيّ من بني مالك ابن عمرو بن ثمامة، وكان شاعراً، وكان لمحمّد زوّاراً، فقال له: الق حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازك، ومتعة لعيالك، فقال: من أين لي براحلة، فإنّ راحلتي قد أنضيتها؟ قال: هذه راحلة

فاركبها برحلها.

ثمّ خرج فاستقبله بزباله لأربع ليال، فأخبره الخبر، وبلّغه الرسالة، فقال له حسين: كلّ ما حمّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمّتنا» (١).

الطبري:

«قال: إنّ مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك، فقال: اعقدا لي عقداً، فقالا: ما نملك ذاك، فانطلق معهما حتّى أتاه فأمر به فكتف» (٢)..

ابن أعثم (ت ٣١٤):

«قال: ثمّ أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزوميّ أن يبعث مع محمّد بن الأشعث ثلاثمائة راجل من صناديد أصحابه.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨، نفس المهموم للقمّي: ١١٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

قال: فركب محمّد بن الأشعث حتّى وافى الدار التي فيها مسلم ابن عقيل.

قال: وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنّه قد أتي في طلبه، فبادر رحمه الله إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجر بعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب.

قال: فتبسّم مسلم رحمه الله، ثمّ قال: يا نفس! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

ثمّ قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عنّي خيراً! اعلمي أنّما أوتيت من قبل ابنك، ولكن افتحي الباب.

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنّه أسد مغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتّى قتل منهم جماعة.

وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد، فأرسل إلى محمّد بن الأشعث وقال: سبحان الله! يا عبد الله! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فأثلم في أصحابي ثلمة عظيمة.

فأرسل إليه محمّد بن الأشعث: أيّها الأمير! أما تعلم أنّك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كفّ بطل همام، من آل خير الأنام.

قال: فأرسل إليه عبيد الله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنّك لن تقدر عليه إلّا بالأمان.

فجعل محمّد بن الأشعث يقول: ويحك يا ابن عقيل! لاتقتل نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول: لاحاجة إلى أمان الغدرة، ثمّ جعل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا ولو وجدت الموت كأساً مرّا
أكره أن أخدع أو أغرّا كلّ امرئ يوماً يلاقي شرّا

أضربكم ولاأخاف ضرّا

قال: فناداه محمّد بن الأشعث وقال: ويحك يا ابن عقيل! إنّك لاتكذب ولاتغرّ، القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك.

قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل رحمه الله إلى كلام ابن الأشعث، وجعل يقاتل حتّى أثخن بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا عليه، فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة.

فقال مسلم: ويلكم! ما لكم ترمونني بالحجارة كما ترمى الكفّار! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ويلكم! أما ترعون حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وذرّيّته.

قال: ثمّ حمل عليهم على ضعفه، فكسرهم وفرّقهم في الدروب، ثمّ رجع وأسند ظهره إلى باب دارهناك، فرجع القوم إليه

فصاح بهم محمّد بن الأشعث: ذروه حتّى أكلّمه بما يريد.

قال: ثمّ دنا منه ابن الأشعث حتّى وقف قبالته وقال: ويلك! يا ابن عقيل! لاتقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي.

فقال له مسلم: أتظنّ يا ابن الأشعث أنّي أعطي بيدي أبداً، وأنا أقدر على القتال ! لاوالله لاكان ذلك أبداً! ثمّ حمل عليه حتّى ألحقه بأصحابه.

ثمّ رجع موضعه فوقف وقال: اللّهمّ! إنّ العطش قد بلغ منّي.

قال: فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولاقرب منه.

فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إنّ هذا لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة.

قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصده من أهل الكوفة رجل يقال له: "بكير بن حمران الأحمريّ"، فاختلفا بضربتين، فضربه بكير ضربة على شفته العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربة فسقط إلى الأرض قتيلاً.

قال: فطعن من ورائه طعنة، فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثمّ أخذ فرسه وسلاحه.

وتقدّم رجل من بني سليمان يقال له: "عبيد الله بن العبّاس"

فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء!

فقال له مسلم بن عمرو الباهليّ: والله لاتذوق الماء يا ابن عقيل أو تذوق الموت!

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظّك وأغلظك! أشهد عليك أنّك إن كنت من قريش فإنّك ملصق، وإن كنت من غير قريش فإنّك مدّع إلى غير أبيك، من أنت يا عدوّ الله؟

فقال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهليّ!

فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم، إذ آثرت طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال مسلم بن عقيل رحمه الله: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربة من ماء!

فأتاه غلام لعمرو بن حريث الباهلي بقلّة فيها ماء وقدح فيها، فناوله القلّة، فكلّما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيّتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل رحمه الله من شرب الماء.

قال: وأتي به حتّى أدخل على عبيد الله بن زياد» (١)..

ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨):

«وأرسل إلى مسلم بن عقيل، فخرج إليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أثخنوه بالجراح، فأسروه» (٢)..

المسعودي (ت ٣٤٦):

«فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به، ووجّه معه عبد الله بن العبّاس السلميّ في سبعين رجلاً، فاقتحموا على مسلم الدار، فثار عليهم بسيفه، وشدّ عليهم فأخرجهم من الدار، ثمّ حملوا عليه الثانية، فشدّ عليهم وأخرجهم أيضاً.

فلمّا رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة، وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب، ثمّ يلقونها عليه من فوق البيوت، فلمّا رأى ذلك قال: أكلّ ما أرى من الأجلاب لقتل مسلم بن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس عنه محيص، فخرج إليهم مصلتاً سيفه إلى السكّة، فقاتلهم،

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٥ / ١٢٧، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨.

واختلف هو وبكير ابن حمران الأحمريّ ضربتين: فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى، وضربه مسلم ضربة منكرة في رأسه، ثمّ ضربه أخرى على حبل العاتق، فكاد يصل إلى جوفه، وهو يرتجز ويقول:

أقسم لا أقتل إلّا حرّا وإن رأيت الموت شيئاً مرّا
كلّ امرئ يوماً ملاق شرّا أخاف أن أكذب أو أغرّا

فلمّا رأوا ذلك منه تقدّم إليه محمّد بن الأشعث فقال له: فإنّك لاتكذب ولاتغرّ، وأعطاه الأمان، فأمكنهم من نفسه، وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمة يهجو فيها ابن الأشعث:

وتركت عمّك أن تقاتل دونه فشلاً ولولا أنت كان منيعا
وقتلت وافد آل بيت محمّد وسلبت أسيافاً له ودروعا» (١)

ابن حبّان (ت ٣٥٤):

«فأنفذ عبيد الله بن زياد إلى دار المرأة محمّد بن الأشعث بن قيس في ستّين رجلاً من قيس، فجاءوا حتّى أحاطوا بالدار،

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٧.

فجعل مسلم يحاربهم عن نفسه حتّى كلّ وملّ، فآمنوه فأخذوه» (١)..

أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦):

«.. فنخسه ابن زياد بالقضيب في جنبه ثمّ قال: قم فأتني به الساعة.

قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعد بن زائدة الثقفيّ أنّ ابن زياد بعث مع ابن الأشعث ستّين أو سبعين رجلاً كلّهم من قيس، عليهم [عمرو بن] عبيد الله بن العبّاس السلميّ حتّى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلمّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، عرف أنّه قد أتي، فخرج إليهم بسيفه، فاقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم كذلك.

فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق السطوح وظهروا فوقه، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النيران في أطنان القصب ثمّ يقذفونها عليه من فوق السطوح.

فلمّا رأى [ذلك] قال: أكلّما أرى من الإجلاب لقتل ابن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص،

---

(١) الثقات لابن حبّان: ٢ / ٣٠٨.

فخرج رضي الله عنه مصلتاً سيفه إلى السكّة، فقاتلهم، فأقبل عليه محمّد بن الأشعث، فقال: يا فتى، لك الأمان، لاتقتل نفسك.

فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أخاف أن أكذب أو أغرّا أو يخلط البارد سخناً مرّا
ردّ شعاع الشمس فاستقرّا كلّ امرئ يوماً ملاق شرّا

قال له محمّد بن الأشعث: إنّك لاتكذب ولاتغرّ، إنّ القوم ليسوا بقاتليك ولاضاربيك.

وقد أثخن بالجراح وعجزعن القتال فانبهر، وأسند ظهره إلى دار بجنب تلك الدار، فدنا منه محمّد بن الأشعث فقال له: لك الأمان، فقال له مسلم: آمن أنا؟ قال: نعم أنت آمن، فقال القوم جميعاً: نعم غيرعبيد الله بن العبّاس السلميّ، لأنّه قال: لاناقة لي في هذا ولاجمل، وتنحّى.

فقال ابن عقيل: إنّي والله لولاأمانكم ما وضعت يدي في أيديكم.

وأتي ببغلة فحمل عليها، فاجتمعوا عليه، فنزعوا سيفه من عنقه، فكأنّه آيس من نفسه، فدمعت عينه، وعلم أنّ القوم قاتلوه، وقال: هذا أوّل الغدر.

فقال له محمّد بن الأشعث: أرجو ألّا يكون عليك بأس.

فقال: ما هو إلّا الرجاء، فأين أمانكم إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وبكى.

فقال له عبيد الله بن العبّاس السلميّ: إنّ مثلك، ومن يطلب مثل الذي طلبت، إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك.

قال: إنّي والله ما أبكي لنفسي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكنّي أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين وآل الحسين.

ثم أقبل على ابن الأشعث فقال: إنّي والله أظنّك ستعجز عن أماني، وسأله أن يبعث رسولاً إلى الحسين بن علي يعلمه الخبر، ويسأله الرجوع فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلنّ» (١)..

الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، الفتّال (ت ٥٠٨):

«فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فسارّه فعرف ابن زياد سراره فقال له ابن زياد بالقضيب في جنبه: قم فأتني به الساعة، فقام، وبعث معه قومه، لأنّه قد علم أنّ كلّ

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٠٦.

قوم يكرهون أن يصاب فيهم مسلم بن عقيل، وبعث معه عبيد الله بن عبّاس السلميّ في سبعين رجلاً من قيس حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل رحمه الله.

فلمّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنّه قد أتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه، فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمريّ، فضرب فم مسلم، فشقّ شفته العليا، وأسرع السيف في السفلى، ونصلت له ثنيّتاه، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكرة، وثنّاه بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه.

فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثمّ يلقونها عليه من فوق البيت.

فلمّا رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكّة، فقال له محمّد بن الأشعث: لك الأمان لاتقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا إنّي رأيت الموت شيئاً نكرا
ويجعل البارد سخناً مرّا ردّ شعاع الشمس فاستقرّا

كلّ امرئ يوماً ملاق شرّا أخاف أن أكذب أو أغرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لاتكذب ولاتغرّ فلا تجزع، إنّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضائريك.

وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال فانبهر، وأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فأعاد ابن الأشعث عليه القول: لك الأمان، فقال: آمن أنا؟ قال: نعم، فقال للقوم الذين معه: لي الأمان؟ فقال القوم له: نعم، إلّا عبيد الله بن العبّاس السلميّ فإنّه قال: لاناقة لي في هذا ولا جمل، وتنحّى.

فقال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم.

وأتي ببغلة فحمل عليها فاجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه، فكأنّه عند ذلك آيس من نفسه! ودمعت عيناه، ثمّ قال: هذا أوّل الغدر.

قال له محمّد بن الأشعث: أرجو أن لايكون عليك بأس، فقال: وما هو إلّا الرجاء، أين أمانكم؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وبكى.

فقال له عبيد الله بن العبّاس السلميّ: إنّ من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك!

قال: إنّي والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن

كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين عليه السلام وآل الحسين.

ثمّ أقبل على محمّد بن الأشعث فقال: يا عبد الله! إنّي أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه إلّا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خارج غداً وأهل بيته، ويقول له: إنّ ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنّه يمسي حتّى يقتل، وهو يقول: ارجع ـ فداك أبي وأمّي ـ بأهل بيتك، ولا يغرّك أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذبوك وليس لمكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ، ولأعلمنّ ابن زياد أنّي قد آمنتك» (١).

أبو علي مسكويه (ت ٤٢١):

«فنخس بالقضيب في جنبه، وقال: قم، وأتني به الساعة، وبعث إلى خليفته، وهو في المسجد أن: ابعث مع ابن الأشعث

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٧.

سبعين رجلاً من قيس، وإنّما كره قومه لأنّه علم أنّ قومه يكرهون أن يصاب فيهم مثل ابن عقيل.

ففعل ذلك، وسار محمّد بن الأشعث، حتّى أطاف بالدار.

فلمّا سمع مسلم وقع الحوافر، بادر إلى سيفه، وخرج إليهم، فاقتحموا عليه، فردّهم، ثمّ عادوا، فردّهم، حتّى ضربه رجل منهم بسيفه، فقطع شفته، وثناياه، وضربه مسلم بأعلى رأسه، كادت تأتي عليه، ولكن سلم.

فلمّا رأى الناس ذلك، أخذوا يرمونه من فوق البيت.

فأقبل عليه محمّد بن الأشعث، فقال: إنّك أثخنت، وعجزت عن القتال، فلم تقتل نفسك، أقبل إليّ، ولك الأمان.

فقال: آمن أنا؟ قال: نعم، وقال القوم: أنت آمن.

فأمكن من نفسه، فدنوا منه، وحملوه، فقال: يا محمّد بن الأشعث، أراك ستعجز عن أماني، وذلك أنّه نزع سيفه من عاتقه، فاستوحش.

.. فهل لك في خير؟ تستطيع أن تبعث رجلاً من عندك على لساني يبلغ حسيناً، فإنّي أراه قد خرج، أو هو خارج غداً، فيقول له: إنّ ابن عقيل بعثني، وهو أسير، لا يرى أنّه يمسي وهو يقتل، وهو يقول لك: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرّك أهل

الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك، الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت، أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذبوك، وكذبوني، وليس لكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله، لأفعلنّ، ولأعلمنّ الأمير عبيد الله، أنّي آمنتك» (١).

الطبرسي (ت ٥٤٨):

«قال: قم فأتني به الساعة، فقام وبعث عبيد الله بن العبّاس السلميّ في سبعين رجلاً حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم، فلمّا سمع وقع الحوافر وأصوات الرجال علم أنّه قد أتى العدوّ، فخرج إليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، واختلف هو وبكر بن حمران الأحمريّ، فضرب بكر فم مسلم، فقطع شفته العليا، وأسرع في السفلى، وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة، وثنّى بأخرى على حبل العاتق، وخرج عليهم مصلتاً بسيفه، فقال له محمّد بن الأشعث: لك الأمان لاتقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا إنّي رأيت الموت شيئاً مرّا

---

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٢.

كلّ امرئ يوما ملاق شّرا أخاف أن أكذب أو أغرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لاتكذب ولاتغرّ، فلا تجزع، إنّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك.

فقال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم، فأتي ببغلة فركبها، واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه، فكأنّه آيس هناك من نفسه، فدمعت عيناه وقال: هذا أوّل الغدر.

وأقبل على محمّد بن الأشعث وقال: إنّي أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من هناك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً، فإنّي لاأراه إلّا خرج إليكم اليوم أو هو خارج غدا ويقول: إنّ ابن عقيل بعثني إليك، وهو أسير في أيدي القوم، ما أرى أن يمسي حتّى يقتل، وهو يقول: ارجع ـ فداك أبي وأمي ـ بأهل بيتك يا ابن عمّي، ولاتغترّ بأهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذي يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة كذبوك وليس لكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: لأفعلنّ، ولأعلمنّ ابن زياد أنّي قد آمنتك» (١)..

---

(١) إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٨.

الخوارزمي (ت ٥٦٨):

«ثمّ أمر ابن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزوميّ أن يبعث مع محمّد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه.

فركب محمّد بن الأشعث حتّى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل، فسمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، فعلم أنّه قد أتي، فبادر مسرعاً إلى فرسه فأسرجه وألجمه وصبّ عليه درعه واعتجر بعمامته وتقلّد سيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة ويلهبون النار في هواري القصب، فتبسّم مسلم ثمّ قال: يا نفسي! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

ثمّ قال للمرأة: رحمك الله وجزاك خيراً، اعلمي إنّي ابتليت من قبل ابنك، فافتحي الباب، ففتحته وخرج مسلم في وجوه القوم كالأسد المغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتّى قتل جماعة، وبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إلى محمّد بن الأشعث: سبحان الله! أبا عبد الرحمن! بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به، فثلم من أصحابك ثلمة عظيمة!

فأرسل إليه محمّد بن الأشعث: أيّها الأمير! أتظنّ أنّك بعثتني إلى بقّال من بقاقيل الكوفة، أو جرمقانيّ من جرامقة الحيرة،

أفلا تعلم أيّها الأمير أنّك بعثتني إلى أسد ضرغام، وبطل همّام، في كفّه سيف حسام، يقطر منه الموت الزوام. فأرسل إليه ابن زياد: أن أعطه الأمان فإنّك لن تقدر عليه إلّا بالأمان المؤكّد بالأيمان.

فجعل محمّد بن الأشعث يناديه: ويحك يا ابن عقيل! لاتقتل نفسك، لك الأمان، فيقول مسلم: لاحاجة لي في أمان الغدرة الفجرة، وينشد:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا وإن رأيت الموت شيئاً مرّا
كلّ امرئ يوماً ملاق شرّا ردّ شعاع الشمس فاستقرّا
أضربكم ولاأخاف ضرّا ضرب همام يستهين الدهرا
وخلّط البارد سخناً مرّا ولاأقيم للأمان قدرا
أخاف أن أخدع أو أغرّا

فناداه محمّد بن الأشعث: يا ويحك! يا مسلم! إنّك لن تغرّ ولن تخدع والقوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك، فلم يلتفت إليه، فجعل يقاتلهم حتّى أثخن بالجراح وضعف عن الكفاح، وتكاثروا عليه من كلّ جانب وجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة.

فقال مسلم: ويلكم ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفّار، وأنا من أهل بيت النبيّ المختار، ويلكم أما ترعون حقّ رسول

الله ولاحقّ قرباه، ثمّ حمل عليهم في ضعفه فهزمهم وكسرهم في الدروب والسكك، ثمّ رجع وأسند ظهره على باب دار من تلك الدور، ورجع القوم إليه، فصاح بهم محمّد بن الأشعث: ذروه حتّى أكلّمه بما أريد، فدنا منه وقال: ويحك يا ابن عقيل لاتقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي وأنت في ذمّتي.

فقال مسلم: أتظنّ ـ يا ابن الأشعث ـ أنّي أعطي بيدي وأنا أقدر على القتال، لاوالله لايكون ذلك أبداً، ثمّ حمل عليه فألحقه بأصحابه، ثمّ رجع إلى موضعه وهو يقول: اللهمّ إنّ العطش قد بلغ منّي، فلم يجترئ أحد أن يسقيه الماء ويدنو منه.

فقال ابن الأشعث لأصحابه: إنّ هذا لهو العار والشنار، أتجزعون من رجل واحد هذا الجزع؟! احملوا عليه بأجمعكم حملة رجل واحد، فحملوا عليه وحمل عليهم وقصده رجل من أهل الكوفة يقال له: بكير بن حمران الأحمريّ فاختلفا بضربتين، ضربه بكير على شفته العليا، وضربه مسلم، فبلغت الضربة جوفه فأسقطه قتيلاً وطعن من ورائه فسقط إلى الأرض فأخذ أسيراً، ثمّ أخذ فرسه وسلاحه.

وتقدّم رجل من بني سليم يقال له: عبيد الله بن العبّاس

فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء، فقال له مسلم بن عمرو بن عمرو الباهليّ: لا والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل حتّى تذوق الموت، فقال له مسلم: ويلك ما أجفاك وأفظّك وأقسى قلبك، أشهد عليك إن كنت من قريش فإنّك ملصق، وإن كنت من غير قريش فأنت دعيّ، من أنت يا عدوّ الله؟ قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح الإمام إن غششته، وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهليّ.

فقال له مسلم: لأمّك الهبل يابن باهلة، أنت أولى بالجحيم، والخلود في نار الجحيم، إذ آثرت طاعة آل أبي سفيان على طاعة آل محمّد، ثمّ قال: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربة من ماء.

فأتاه غلام لعمرو بن حريث المخزوميّ بقلّة فيها ماء، وقدح من قوارير فصبّ القلّة في القدح وناوله، فأخذ مسلم القدح بيده، فكلّما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم وسقطت ثنيّتاه في القدح، فامتنع من شرب ذلك الماء.

وفي رواية: إنّ محمّد بن الأشعث لمّا أعطاه الأمان رمى بسيفه، فأخذوه وحملوه على بغلة، فدمعت عيناه، فقال محمّد: إنّي

لأرجو أن لا بأس عليك، فقال: ويحك! ما هو إلّا الرجاء، فأين أمانكم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وبكى.

فقال عبيدالله بن العبّاس السلميّ: من يطلب مثل الذي طلبت لا يبكي.

فقال: إنّي والله، ما على نفسي أبكي، لكنّي أبكي على أهلي المقبلين إليكم، أبكي على الحسين وآل الحسين.

ولمّا ركب على البغلة ونزع منه السيف استرجع وقال: هذا أوّل الغدر، وأيس من نفسه، وعلم أن لا أمان له من القوم، فقال لمحمّد بن الأشعث: إنّي لأظنّك أن تعجز عن أماني، أفتستطيع أن تبعث رجلاً عن لساني يبلغ حسيناً؟ فإنّي لا أراه إلّا قد خرج إلى ما قبلكم هو وأهل بيته، فيقول له: إنّ مسلماً بعثني إليك وهو أسير في يد العدوّ، يذهبون به إلى القتل، فارجع بأهلك ولا يغرّنّك أهل الكوفة فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذبوني فكتبت إليك وليس لمكذوب رأي.

فقال محمّد: والله لأفعلنّ، ودعا بأياس الطائيّ وكتب معه إلى الحسين ما قاله مسلم عن لسان مسلم، وأعطاه راحلة وزاداً، فذهب فاستقبل الحسين بزبالة، وكان مسلم حين تحوّل إلى

دارهاني كتب إلى الحسين كتاباً ذكر فيه كثرة من بايعه، فهو قوله: كذّبوني فكتبت إليك. ثمّ أتي به فأدخل على ابن زياد» (١).

الخوارزمي:

«أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصميّ، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقيّ، عن أبيه، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو عمرو بن السمّاك، حدّثنا حنبل بن إسحاق، حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان بن عينية، حدّثنا عمرو بن دينار قال: أرسل الحسين مسلم بن عقيل عليهما السلام إلى الكوفة، وكان مثل الأسد، لقد كان من قوّته أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت إلى أن قتل بالكوفة» (٢).

ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨):

«فأنفذ عبيد الله عمرو بن حريث المخزوميّ ومحمّد بن

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٤، العوالم للبحراني: ١٧ / ٢٠٣، نفس المهموم للقمّي: ١١١.

الأشعث في سبعين رجلاً حتّى أطافوا بالدار، فحمل مسلم عليهم وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع
فأنت بكأس الموت لا شكّ جارع
فصبر لأمر الله جلّ جلاله
فحكم قضاء الله في الخلق ذائع

فقتل منهم واحداً وأربعين رجلاً، فأنفذ ابن زياد اللائمة إلى ابن الأشعث، فقال: أيّها الأمير! إنّك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كفّ بطل همام من آل خير الأنام، قال: ويحك! ابن عقيل لك الأمان، وهو يقول: لا حاجة لي في أمان الفجرة، وهو يرتجز:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أكره أن أخدع أو أغرّا كلّ امرئ يوماً يلاقي شرّا
أضربكم ولا أخاف ضرّا ضرب غلام قطّ لم يفرّا

فضربوه بالسهام والأحجار حتّى عيي، واستند حائطاً، فقال: ما لكم ترموني بالأحجار كما ترمى الكفّار، وإنّا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ألا ترعون حقّ رسول الله في ذرّيّته.

فقال ابن الأشعث: لا تقتل نفسك وأنت في ذمّتي.

قال: أوسروبي طاقة؟ لاوالله لايكون ذلك أبداً.

وحمل عليه فهرب منه، فقال مسلم: اللّهمّ إنّ العطش قد بلغ منّي، فحملوا عليه من كلّ جانب، فضربه بكيربن حمران الأحمريّ على شفته العليا، وضربه مسلم في جوفه فقتله، وطعن من خلفه فسقط من فرسه فأسر.

فقال مسلم: اسقوني شربة من ماء، فأتاه غلام عمرو بن حريث بشربة زجاج، وكانت تملى دماً، وسقطت فيه ثنيّته» (١)..

ابن الجوزي (ت ٥٩٧):

«فبعث عبيد الله إليه صاحب الشرطة عمرو بن حريث، ومعه عبد الرحمن بن محمّد الأشعث! فلم يعلم مسلم حتّى أحيط بالدار، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكنه من يده، فحملوه على بغلة، وانتزعوا سيفه منه، فقال: هذا أوّل الغدر، وبكى.

فقيل له: من يطلب مثل هذا الذي تطلب إذا نزل به مثل هذا لم يبك.

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٩.

فقال: والله ما أبكي على نفسي، بل على حسين وآل حسين.

ثمّ التفت إلى عبد الرحمن فقال: هل يستطيع أن يبعث من عندك رجلاً على لساني، يبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه إلّا قد خرج إليكم، فيقول له: ارجع ولا تغترّ بأهل الكوفة.

فبعث رجلاً، فلقي الحسين بزبالة، فأخبره الخبر، فقال: كلّ ما حمّ نازل» (١).

ابن الأثير (ت ٦٣٠):

«فقال له ابن زياد: قم فأتني به الساعة، وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عبّاس السلميّ في سبعين من قيس حتّى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلمّا سمع الأصوات عرف أنّه قد أتي، فخرج إليهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه فحمل عليهم فأخرجهم مراراً، وضرب بكير بن حمران الأحمريّ فم مسلم فقطع شفته العليا وسقطت ثنيّتاه، وضربه مسلم على رأسه وثنّى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه.

فلمّا رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت، وجعلوا يرمونه

---

(١) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

بالحجارة، ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه.

فلمّا رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكّة، فقال له محمّد بن الأشعث: لك الأمان فلا تقتل نفسك! فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أو يخلط البارد سخناً مرّا ردّ شعاع الشّمس فاستقرّا
كلّ امرئ يوماً يلاقي شرّا أخاف أن أكذب أو أغرّا

فقال له محمّد: إنّك لاتكذب ولاتخدع، القوم بنو عمّك وليسوا بقاتليك ولاضاربيك.

وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال، فأسند ظهره إلى حائط تلك الدار، فآمنه ابن الأشعث والناس غير عمرو بن عبيد الله السلميّ فإنّه قال: لاناقة لي في هذا ولاجمل.

وأتي ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه، فكأنّه أيس من نفسه، فدمعت عيناه ثمّ قال: هذا أوّل الغدر.

قال محمّد: أرجو أن لايكون عليك بأس. قال: وما هو إلّا الرجاء، أين أمانكم؟ ثمّ بكى.

فقال له عمرو بن عبيد الله بن عبّاس السلميّ: من يطلب مثل الّذي تطلب إذا نزل به مثل الّذي نزل بك لم يبك! فقال:

ما أبكي لنفسي، ولكنّي أبكي لأهلي المنقلبين إليكم، أبكي للحسين وآل الحسين.

ثمّ قال لمحمّد بن الأشعث: إنّي أراك ستعجز عن أماني فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يخبر الحسين بحالي ويقول له عنّي ليرجع بأهل بيته ولا يغرّه أهل الكوفة فإنّهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل؟

فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلنّ! ثمّ كتب بما قال مسلم إلى الحسين، فلقيه الرسول بزبالة فأخبره، فقال: كلّما قدّر نازل، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمّتنا» (١).

ابن الجوزي في التذكرة (ت ٦٥٤):

«فأخبر ابن زياد فبعث إليه عمرو بن حريث المخزوميّ، وكان على شرطته ومعه محمّد بن الأشعث، فأحاطوا بالدار، فخرج إليهم مسلم يقاتل فآمنه ابن الأشعث، وجاء به إلى ابن زياد» (٢).

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٢.

(٢) تذكرة الخواصّ: ٢١٩.

السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤):

«فعلم به ولدها فوشى الخبر بطريقه إلى ابن زياد، فأحضر محمّد بن الأشعث وضمّ إليه جماعة، وأنفذه لإحضار مسلم، فلمّا بلغوا دار المرأة، وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس درعه، وركب فرسه وجعل يحارب أصحاب عبيد الله حتّى قتل منهم جماعة، فنادى إليه محمّد بن الأشعث وقال: يا مسلم لك الأمان فقال مسلم: وأيّ أمان للغدرة الفجرة.

ثمّ أقبل يقاتلهم ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعميّ يوم القرن:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أكره أن أخدع أو أغرّا أو أخلط البارد سخناً مرّا
كلّ امرئ يوما يلاقي شرّا أضربكم ولا أخاف ضرّا

فنادوا إليه أنّه لا يكذب ولا يغرّ، فلم يلتفت إلى ذلك، وتكاثروا عليه بعد أن أثخن بالجراح فطعنه رجل من خلفه، فخرّ إلى الأرض فأخذ أسيراً» (١).

النويري (ت ٧٣٣):

«فأخبر محمّد بن الأشعث ابن زياد، فقال له: قم فأتني به

---

(١) اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٥٤.

الساعة، وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عبّاس السلميّ في سبعين من قيس، فأتوا الدار، فخرج ابن عقيل إليهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه، فحمل عليهم فأخرجهم مراراً، وضربه بكر بن حمران الأحمريّ فقطع شفته العليا وسقط سنّتاه، وضربه مسلم على رأسه، وثنّى بأخرى على حبل العاتق، فكادت تطلع على جوفه.

فلمّا رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت، وجعلوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه، فلمّا رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكّة، فقال له محمّد بن الأشعث.

لك الأمان فلا تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
ويخلط البارد سخناً مرّا ردّ شعاع النفس مستقرّا
كلّ امرىء يوماً ملاق شرّا أخاف أن أكذب أو أغرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لاتكذب ولاتخدع، القوم بنو عمّك وليسوا بقاتليك ولاضاربيك، وكان قد أثخن بالحجارة، وعجز عن القتال، وأسند ظهره إلى حائط تلك الدار، فأمّنه ابن الأشعث والناس غير عمرو بن عبيد الله السلميّ، فإنّه

قال: لاناقتي فيها ولاجملي.

وأتي ببغلة فحمل عليها، وانتزعوا سيفه، فكأنّه أيس من نفسه، فدمعت عيناه وقال: هذا أوّل الغدر، قال محمّد: أرجو ألايكون عليك بأس.

قال: وما هو إلّاالرجاء! أين أمانكم! ثمّ بكى، فقال له عمرو بن عبيد الله: من يطلب الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك.

فقال: ما أبكى لنفسي، ولكن أبكي لأهلي المنقلبين إليكم: أبكي للحسين وآل الحسين.

ثمّ قال لمحمّد بن الأشعث: إنّي أراك تعجزعن أماني، فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يخبرالحسين بحالي، ويقول له عنّي: ليرجع بأهل بيته، ولايغرّه أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل؟ فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ، وفعل وأبى الحسين الرجوع» (١).

الذهبي (ت ٧٤٨):

«فبعث عبيد الله الشرط إلى مسلم، فخرج وسلّ سيفه،

---

(١) نهاية الإرب: ٢٠ / ٤٠٠.

وقاتل، فأعطاه ابن الأشعث أماناً، فسلّم نفسه» (١).

ابن كثير (ت ٧٧٤):

«فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال: قم فأتني به الساعة.

وبعث ابن زياد عمر بن حريث المخزوميّ ـ وكان صاحب شرطته ـ ومعه عبد الرحمن ومحمّد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً، فلم يشعر مسلم إلّا وقد أحيط بالدار التي هو فيها، فدخلوا عليه، فقام إليهم بالسيف، فأخرجهم من الدار ثلاث مرّات، وأصيبت شفته العليا والسفلى، ثمّ جعلوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطناب القصب، فضاق بهم ذرعاً، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده، وجاءوا ببغلة فأركبوه عليها، وسلبوا عنه سيفه، فلم يبق يملك من نفسه شيئاً، فبكى عند ذلك وعرف أنّه مقتول، أبكي على الحسين، وآل الحسين، إنّه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكّة.

ثمّ التفت إلى محمّد بن الأشعث فقال: إن استطعت أن تبعث

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٨.

إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل، فبعث محمّد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع، فلم يصدق الرسول في ذلك، وقال: كلّ ما حمّ الإله واقع» (١).

ابن نما (ت ٨٤١):

«ووصل الخبر إلى عبيد الله، فأخبر محمّد بن الأشعث، وقيل: عبد الله بن عبّاس السلميّ في سبعين رجلاً من قيس حتّى أتوا دار طوعة، فسمع مسلم وقع حوافر الخيل علم أنّه قد أتي، فلبس لامته وركب فرسه وضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا فشدّوا عليه، فقتل منهم جماعة.

ثمّ أشرفوا عليه من فوق البيت ورموه بالحجارة، فقال له محمّد ابن الأشعث: لك الأمان لاتقتل نفسك.

وهو يقاتلهم، ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعميّ يوم القرن:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّا ... وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أكره أن أخدع أو أغرا ... أو أخلط البارد سخناً مرّا
ردّ شعاع الشمس فاستقرّا ... كلّ امرئ يوماً يلاقي شرّا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٥.

أضربكم ولاأخاف ضرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لاتكذب ولاتغرّ، وكان قد أثخن بالجراح، وكلّ عن القتال، فأعاد محمّد بن الأشعث القول، فقال: أنا آمن؟ قال: نعم.

فانتزعوا سيفه، فأتي ببغلة فركبها، فكأنّه عند ذلك يئس من نفسه، فدمعت عيناه، فقال له عبيد الله بن العبّاس: إنّ من يطلب مثل ما تطلب لايجزع.

فقال: والله ما لنفسي أجزع، وإن كنت لاأحبّ لها ضرّاً طرفة عين، ولكن جزعي للحسين وأهل بيته المغترّين بكتابي، وقال: هذا أوان الغدر.

فأقبلوا به أسيراً حتّى دخل على عبيد الله فلم يسلّم عليه» (١)..

ابن حجر(ت ٨٥٢):

«فلم يفجأ مسلماً إلّا والدار قد أحيط بها، فلمّا رأى ذلك خرج بسيفه يدفعهم عن نفسه، فأعطاه محمّد بن الأشعث الأمان، فأمكن من يده» (٢)..

---

(١) مثيرالأحزان لابن نما: ٣٥.

(٢) الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧١.

الطريحي (ت ١٠٨٥):

«ثمّ إنّ ابن زياد دعا بمحمّد بن الأشعث الكنديّ، وضمّ إليه ألف فارس وخمسمائة راجل، وأمرهم بالانطلاق إلى مسلم، فسار ابن الأشعث حتّى وصل الدار، ولمّا سمعت المرأة صهيل الخيل وقعقعة اللجم، أقبلت إلى مسلم وأخبرته بذلك، فلبس درعه وشدّ وسطه وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟

فقال: ما طلبة القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليّ في الدار ولا يكون لي فسحة ولا مجال.

ثمّ إنّه عمد إلى الباب وخرج إلى القوم، فقاتلهم قتالاً عظيماً حتّى قتل منهم خلقاً كثيراً، فلمّا نظر ابن الأشعث إلى ذلك، أنفذ إلى ابن زياد يستمدّه بالخيل والرجال، فأنفذ إليه ابن زياد يقول: ثكلتك أمّك! رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة، فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشدّ منه قوّة وبأساً؟! (يعني الحسين عليه السلام).

فبعث إليه الجواب: عساك أرسلتني إلى بقّال من بقاقيل الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الكوفة، وإنّما أرسلتني إلى سيف من أسياف محمّد بن عبد الله.

فلمّا بلغ ذلك ابن زياد، أمدّه بالعسكر الكثير، فلمّا رأى مسلم ذلك، رجع إلى الدار وتهيّأ وحمل عليهم حتّى قتل كثيراً منهم، وصار جلده كالقنفذ من كثرة النبل.

فبعث [ابن الأشعث] إلى ابن زياد يستمدّه بالجند والرجال، فأرسل إليه بذلك وقال لهم: يا ويلكم! أعطوه الأمان وإلّا أفناكم عن آخركم.

فنادوه بالأمان، فقال لهم: لاأمان لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله.

ثمّ حمل عليهم فقاتلهم، ثمّ إنّهم احتالوا عليه وحفروا له حفرة عميقة في وسط الطريق، وأخفوا رأسها بالدغل والتراب، ثمّ انطردوا بين يديه، فوقع بتلك الحفرة وأحاطوا به، فضربه ابن الأشعث على محاسن وجهه، فلعب السيف في عرنين أنفه ومحاجر عينيه، حتّى بقيت أضراسه تلعب في فمه، فأوثقوه وأخذوه إلى ابن زياد» (١)..

أبو مخنف المشهور (المشهور):

«ثمّ دعى بمحمّد بن الأشعث وضمّ إليه خمسمائة فارس وقال

---

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

له: انطلق مع هذا الغلام وأتني بمسلم بن عقيل عليه السلام قتيلاً أو أسيراً.

فساروا حتّى أتوا دار العجوز فسمعت صهيل الخيل وقعقعة اللُّجم وزعقات الرجال فأخبرت مسلم بذلك.

فقال مسلم: ما طلب القوم غيري، فقال لها: هاتي سيفي.

فقام وشدّ وسطه بمنطقته وتدرّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يهزّ سيفه، فقالت له العجوز: يا سيّدي أراك تأهّبت للموت.

قال: والله أجل لابدّ من الموت.

ثمّ عمد إلى الباب واقتلعه وكان ضخم الدسيعة وخرج إلى القوم وقاتلهم قتالاً شديداً وقتل منهم مائة وثمانين فارساً وانهزم الباقون.

فلمّا نظر ابن الأشعث إلى شجاعة مسلم عليه السلام أرسل إلى ابن زياد ـ لعنه الله ـ: أدركني بالخيل والرجال، فأرسل إليه خمسمائة فارس، فخرج إليهم مسلم بن عقيل عليه السلام فقتل منهم مقتلةً عظيمةً، فأرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد ـ لعنه الله ـ: أدركني بالخيل والرجال.

فأنفذ إليه ابن زياد ـ لعنه الله ـ يقول: ثكلتك أمّك وعدموك قومك، رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة؟ فكيف لو

أرسلتك إلى من هو أشدّ بأساً وأصعب مراساً ـ يعني بذلك الحسين عليه السلام ـ فكتب إليه محمّد بن الأشعث يقول: أتظنّ أنّك أرسلتني إلى بقّال من بقاقيل الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الحيرة؟ ألم تعلم أنّك وجّهتني إلى بطل ضرغام وليث همام وسيف من أسياف رسول الله.

فأنفذ إليه ابن زياد ـ لعنه الله ـ خمسمائة فارس وقال: يا ويلكم، اعطوه الأمان وإلّا أفناكم عن آخركم.

فصاحوا به: يا مسلم بن عقيل عليهما السلام، لك الأمان، فقال: لا أمان لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله.

ثمّ خرج إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً فاختلف هو وبكر بن حمران بضربتين فعاجله مسلم فضربه على أمّ رأسه فقتله ثمّ عطف على آخر فقتله.

قال: فأشرف القوم على السطوح وجعلوا يلهبون عليه النيران، فبرز إليهم وهو يقول:

أقسمت لا اقتل إلّا حرّا ... وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أخاف أن أخدع أو أغرّا ... ردّ شعاع الشمس فاستقرّا
أضربكم ولا أخاف ضرّا ... فعل غلام قطّ لن يفرّا
وكلُّ ذي غدر سيلقى غدرا ... أيضاً ويصلى في الجحيم حرّاً

ثمّ حمل على القوم وقاتلهم قتالاً شديداً وقتل منهم خلقاً كثيراً، فأقبل عليهم لعين وقال لهم: أنا أنصب له شركاً لا يخلص منه.

قالوا: بماذا ؟

قال: نحفر له بئراً في الطريق ونطمّها بالدغل والتراب ونحمل عليه وننهزم قدّامه وأرجو أن لا يفلت منها، ففعلوا ذلك ومسلم عليه السلام لا يعلم بما فعلوا من المكر.

ثمّ حملوا عليه وحمل عليهم فانهزموا بين يديه فوقع في البئر، فأحاطوا به من كلّ جانب ومكان فأخرجوه إليهم.

فضربه ابن الأشعث ـ لعنه الله ـ على محاسن وجهه فلعب السيف في عرنين أنفه فسقطت أضراسه وأخذوه أسيراً إلى ابن زياد ـ لعنه الله ـ» (١).

القندوزي (ت ١٢٩٢):

«.. فأرسل ابن زياد محمّد بن الأشعث الكندي، وضمّ إليه ألف فارس وخمسمائة راجل إلى قتال مسلم، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، فأرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد يستمدّه بالخيل والرجال.

---

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

فكتب إليه عليه السلام: إنّ رجلاً واحداً يقتل منكم خلقاً كثيراً، فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشدّ منه قوّة وبأساً ـ يعني الحسين ـ.

فكتب في الجواب: إنّما أرسلتني إلى سيف من أسياف آل محمّد، فأمدّه بالعسكر الكثير.

ثمّ حمل مسلم عليهم أيضاً فقتل منهم خلقاً كثيراً وصار جلده كالقنفذ من كثرة السهام.

فقال ابن الأشعث: لك الأمان يا مسلم!

فقال لهم: لاأمان لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله.

ثمّ إنّهم حفروا له حفيرة في وسط الطريق، وأخفوا رأسها بالدغل والتراب، فوقع مسلم في تلك الحفيرة، وأحاطوا به فضربه ابن الأشعث على وجهه بالسيف فشقّه، فأوثقوه وآتوه إلى ابن زياد» (١).

---

(١) ينابيع المودّة لذوي القربى للقندوزي تحقيق السيّد علي أشرف: ٣ / ٥٨.

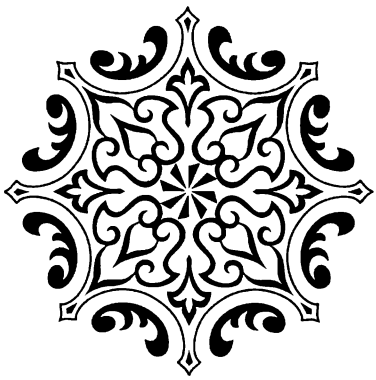

الخاتمة

مختصر في وقائع السفارة

بسم الله الرحمن الرحيم

طلب منّي بعض الأخوة أن أكتب خلاصة مضغوطة جدّاً لوقائع السفارة لتتميم الفائدة وتقديم صورة مهما كانت مصغّرة ومكبوسة لمجريات الأحداث ليكتمل المشهد المرسوم لهذه الفترة التي تمّت دراستها وهي فترة تتعلق بحركة المولى الغريب من مكّة المكرّمة إلى شهادته، وهي تربو على الشهرين بأيّام، وقد تناولنا فيها الأحداث المتعلّقة بالمولى الغريب مسلم بن عقيل حصراً إلّا ما كان له علاقة مباشرة بحركته صلوات الله عليه وآله الطيّبين.

١

هلك معاوية بعد ثنى الوسادة لنغله يزيد فأخذ له البيعة في حياته سنة ستّ وخمسين من أهل الشام والعراق والحجاز(١)، فهم قد بايعوا يزيد الخمور والفجور منذ أيّام معاوية، وسارعوا إلى تجديد البيعة أذلّاء خاسئين، وتركوا حبيب الله وحبيب رسوله صلى الله عليه وآله، «فأصبح الناس فغدوا على البيعة ليزيد، وطُلب الحسين» (٢).. «وكتب إلى الأقاليم بذلك فبايعوه» (٣).

فلم يبق أحد إلّاأشاح عن وجه الله واستقبل وجه يزيد المخمور، وأعرض عن التمسّك بحبل الله والعروة الوثقى وتمسّك بذيل القرد الأمويّ، ورفض التعلّق بأغصان طوبى واستبدلها بالتدلّي في جهنّم بأعواد الشجرة الملعونة في القرآن، حتّى عبد الله بن عبّاس فقد بايع

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير: ٢٥١/٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠/ ٣٥٦.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٥٦، تاريخ دمشق: ٢٠٧/١٤، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر، المحمودي: ٢٠٠، تهذيب ابن بدران: ٣٢٨/٤، مختصر ابن منظور: ١٣٨/٧، بغية الطلب لابن العديم: ٢٦٠٨/٦، تهذيب الكمال للمزّي: ٤١٥/٦، البداية والنهاية لابن كثير: ١٦٢/٨.

(٣) حياة الحيوان للدميري: ٩١/١.

له [١] وأمر بمبايعته.[٢]..

ونزى القرد المخمور على أعواد المنبر، فكتب إلى والي المدينة كتاباً يرسم له أخذ البيعة من بضعة نفر من أهل المدينة أحدهم سيّد الشهداء عليه السلام أخذاً شديداً لا رخصة فيه [٣]، وفي بعض ألفاظه: «فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم» [٤]، أو: «فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه» [٥]، وفي لفظ: «وخاصّة الحسين فإن امتنع عليك فاضرب عنقه وابعث برأسه إليّ» [٦]، فأبى سيّد الشهداء البيعة.

---

(١) انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/١٧٣، تاريخ الطبري: ٥/٣٤٣، الكامل لابن الأثير: ٣/٢٦٥، نهاية الإرب للنويري: ٢٠/٣٨٥٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٨/١٥١.

(٢) انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/١٧٣.

(٣) انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/١٧٤، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣/٣٦٨، ٥/٣١٣، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٢٨، تاريخ الطبري: ٥/٣٣٨، المنتظم لابن الجوزي: ٥/٣٢٢، الإرشاد للمفيد: ٢/٣٠، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٦، بحار الأنوار: ٤٤/٣٢٤، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٢، الكامل لابن الأثير: ٣/٢٦٣، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٥، نهاية الإرب للنويري: ٢٠/٣٧٦ .....

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢١٥.

(٥) الفتوح لابن أعثم: ٥/١٠.

فكتب والي المدينة إلى سائسه في الشام بذلك فجاء الردّ الغاضب المتوحّش من القرد المخمور يطلب فيه رأس سيّد الشهداء المقدّس ويأمره أن يقتل ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله، ويشدّد على الآخرين، ويجدّد البيعة من الناس في مدينة النبيّ الأمين صلى الله عليه وآله، ويقول:

«فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزبير فإنّه لن يفوتنا ولن ينجو منّا أبداً، ما دام حيّاً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنّة الخيل ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر والنعمة» (١).

فبات الإمام مهدّداً مطلوب الدم مخيّراً بين مناولة القرود والبيعة ليزيد وبين القتل الذي لابدّ منه.. ومثل سيّد شباب أهل الجنّة الحسين عليه السلام لا يبايع مثل يزيد.

فجعل الإمام عليه السلام يتمثّل بقول ابن المفرّغ:

«لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا» (٢)

العوالم للبحراني: ١٧/١٧٤.

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥/٢٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١/١٥٨، الأمالي للصدوق: ١٥٢، بحار الأنوار: ٤٤/٣١٢، العوالم للبحراني: ١٤/١٦١.

(٢) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣/٣٦٨، تاريخ الطبري: ٥/٣٤٢، ←

فجمع الإمام أهل بيته وخرج بهم من المدينة نحو مكّة الحرم الآمن للمخلوقات وهو يتلو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَومِ الظَّالِمِينَ﴾ (١).. في الثامن والعشرين من رجب (٢).

شرح الأخبار للقاضي النعمان: ١٤٤/٣، الأمالي للشجري: ١٨٥/١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٨٦/١، الأغاني لأبي الفرج: ٤٤٧/١٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٧/٤، بغية الطلب لابن العديم: ٢٦٠٥/٦، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣٥٣/٦، الوافي بالوفيات للصفدي: ٢٦٣/١٢، نهاية الأرب للنويري: ٣٨١/٢٠، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٥، مروج الذهب للمسعودي: ٦٤/٣ ...

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٣٤٣/٥، الفتوح لابن أعثم: ٣٤/٥، الإرشاد للمفيد: ٣٣/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٣٣٢/٤٤، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٨٩/١، الكامل لابن الأثير: ٢٦٥/٣، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٥، نهاية الأرب للنويري: ٣٨١/٢٠، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٨٣..

(٢) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢١٥/٥، تاريخ الطبري: ٣٤١/٥، الإرشاد للمفيد: ٣٢/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٣٢٦/٤٤، العوالم للبحراني: ١٧٦/١٧، نفس المهموم للقمّي: ٧١، الإفادة لأبي طالب الزيدي: ٥٦، الاستيعاب لابن عبد البر: ٣٨١/١، بغية الطلب لابن العديم: ٢٥٧٢/٦، تاريخ الخميس للدياربكري: ٣٣١/٢، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٣، المنتظم لابن الجوزي: ٣٢٤/٥، مرآة ←

فلمّا وافى مكّة في الثالث من شعبان [١] ونظر إلى جبالها تلا قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [٢].

فأقام في مكّة يجتمع إليه الناس من أهل مكّة والمعتمرين والحجّاج والمجاورين وأهل الآفاق [٣] يتبركون بالنظر إلى وجهه الحبيب المذكّر

الجنان لليافعي: ١٣٢/١ ...

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٨٦/٣، تاريخ الطبري: ٣٤٣/٥، الإرشاد للمفيد: ٣٣/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٣٣٢/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨١/١٧، نفس المهموم للقمّي: ٧٩، الإفادة لأبي طالب الزيدي: ٥٧، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٣، المنتظم لابن الجوزي: ٣٢٤/٥، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٩، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥١/٥..

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٣٤٣/٥، الفتوح لابن أعثم: ٣٧/٥، الإرشاد للمفيد: ٣٣/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٣٣٢/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨١/١٧، نفس المهموم للقمّي: ٧٩، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٨٩/١، الكامل لابن الأثير: ٢٦٠/٣، نهاية الأرب للنويري: ٣٨١/٢٠، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٣ ...

(٣) انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٤/٢، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٦٨/٣، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٠، تاريخ الطبري: ٣٤٣/٥، الفتوح لابن أعثم: ٣٧/٥، الإرشاد للمفيد: ٣٣/٢، روضة الواعظين ←

بوجه رسول الله ﷺ «ويفدون إليه ويجلسون حواليه ويستمعون كلامه [١] وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون ما يروون عنه» [٢].

فنزل سيّد الشهداء في دار عمّه العبّاس [٣] على بعد أمتار من المسجد الحرام [٤].

وقال له عمرو بن سعيد الأشدق وقد نصبه يزيد والياً على مكّة

للفتّال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٣٣٢/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨١/١٧، نفس المهموم للقمّي: ٧٩، المنتظم لابن الجوزي: ٣٢٤/٥، الكامل لابن الأثير: ٢٦٠/٣، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٩، نهاية الأرب للنويري: ٣٨١/٢٠، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥١/٥، تاريخ ابن خلدون: ٢٠/٣، الفصول المهمّة لابن الصباغ: ١٨٣ ...

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ١٥١/٨.

(٢) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٣٠٨/٢، مع الركب الحسيني: ٢٤/٢ عن البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٣/٨.

(٣) انظر: ترجمة الإمام الحسين من الطبقات لابن سعد: ٥٦، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٠٧/١٤، تهذيب الكمال للمزّي: ٤١٥/٦، بغية الطلب لابن العديم: ٢٦٠٨/٦، البداية والنهاية لابن كثير: ١٧٥/٨، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٨٩/١..

(٤) أُنظر: أخبار مكة للأزرقي: ٢ / ١١٩، ٨٢، ٢٦٤، تاريخ مكة المشرفة لمحمّد بن أحمد الحنفي المكي: ١٥٤ تحقيق: علاء أيمن الزهري.

والمدينة: «ما أقدمك؟ فقال: عائذاً بالله وبهذا البيت» (١).

وسأله ابن عمر وابن عبّاس أن يترك مكّة ويرجع إلى المدينة فقال في حديث طويل:

يا ابن عبّاس، ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله من داره وقراره ومولده وحرم رسوله ومجاورة قبره ومولده ومسجده وموضع مهاجره فتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقرّ في قرار ولا يأوي في موطن يريدون في ذلك قتله وسفك دمه وهو لم يشرك بالله شيئاً ولا اتّخذ من دونه وليّاً ولم يتغيّر عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله والخلفاء من بعده».

فلمّا ألحّ عليه ابن عمر بالعودة إلى المدينة وأنّه في أمان هناك أجاب صلى الله عليه وآله:

«هيهات يا ابن عمر إنّ القوم لا يتركوني إن أصابوني، وإن لم يصيبوني فلا يزالون [يزالوا] حتّى أبايع وأنا كاره أو يقتلوني، أما تعلم إنّ من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنّه أتي برأس يحيى بن زكريا»..

وأخبر ابن عباس أيضاً فقال:

---

(١) انظر: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٥.

«فإنّي مستوطن هذا الحرم ومقيم فيه أبداً ما رأيت أهله يحبّوني وينصروني، فإذا خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل يوم ألقي في النار: "حسبي الله ونعم الوكيل" فكانت النار عليه برداً وسلاماً».

فأقام بمكة وقد لزم الصوم والصلاة (١).

---

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٣٨/٥ ـ ٤٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٩٠/١ وما بعدها.

﴿ ٢ ﴾

بلغ خبر سيّد الشهداء إلى أهل الكوفة، وأنّه أبى البيعة ليزيد وقد طورد ولوحق وخيّر بين المناولة والقتل فاجتمعوا وكتبوا إليه، وكان همّهم أن يدفعوا عن شخصه الكريم ويمنعوا القتل عنه كما قال سليمان بن صرد في خطبته التي ألقاها وقد اجتمع الناس في داره بعد أن ذكر لهم هلاك معاوية:

«وقد قعد في موضعه ابنه يزيد ـ زاده الله خزياً ـ وهذا الحسين بن علي قد خالفه وصار إلى مكّة خائفاً من طواغيت آل أبي سفيان وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا اليه وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه.

فقال القوم: بل ننصره ونقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه [1] حتّى ينال حاجته.

فأخذ سليمان بن صرد بذلك ميثاقاً وعهداً أنهم لا يغدرون ولا

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٣٥٢/٥، الإرشاد للمفيد: ٣٤/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٣٣٢/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨٢/١٧، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

ينكثون ثمّ قال: اكتبوا إليه الآن كتاباً من جماعتكم أنّكم له كما ذكرتم وسلوه القدوم عليكم.

قالوا: أفلا تكفينا أنت الكتاب إليه؟

قال: لابل يكتب جماعتكم» (١).

فكتبوا إلى سيّد الشهداء عليه السلام يعدونه النصرة، ونبت به مكّة كما نبت به المدينة، فتمسّك أهلها بذيول القرود الأمويّة وأفلتوا العروة الوثقى وضيّعوا أغصان شجرة طوبى لحساب التعلّق بأعواد الشجرة الملعونة في القرآن..

---

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٣٨/٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٩٠/١، مثير الأحزان لابن نما: ١٠، اللهوف لابن طاووس: ٣٢.

﴿ ٣ ﴾

فلمّا كثرت الكتب وتواترت الرسل دعا سيّد الشهداء أخاه وابن عمّه مسلم بن عقيل وكلّفه أن يسير إلى الكوفة ليستكشف الوضع هناك ويرى مدى تطابق ما ورد في كتب الناس ونيّاتهم وعزائمهم، وصدق مواقفهم.

فخرج ـ فداه روحي ـ من مكّة في صحبة قيس بن مسهر الصيداويّ وعمارة بن عبد الله السلوليّ وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبيّ (١)، ومعه خدمه (٢) وغيرهم من القاصدين (٣).. فكانت جماعتهم لاتقلّ عن عشرة، وفيهم من جاب الصحراء يحمل الكتب والرسائل مِن وإلى سيّد الشهداء عليه السلام مراراً كقيس بن مسهر(٤).

---

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٧٠/٣، تاريخ الطبري: ٣٥٤/٥، الإرشاد للمفيد: ٣٧/٢، الثقات لابن حبّان: ٣٠٧/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٨، اعلام الورى للطبرسي: ٢٢٣، بحار الأنوار: ٣٣٥/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨٤/١٧..

(٢) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢.

(٣) انظر: الفصول المهمّة لابن الصباغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦، إبصار العين للسماوي: ٥.

(٤) انظر: وقائع الدخول الجزء الثاني من هذه المجموعة.

﴿ ٤ ﴾

فسار المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام بمن معه على بركة الله ـ تماماً كما أخبره ودعا له سيّد الشهداء عليه السلام (١) ـ حتّى دخل الكوفة لا خائفاً ولا وجلاً، وإنّما دخلها من دون تحشيد وتجييش ولا استقبال رسميّ حافل، إذ لم يكن ذلك من أخلاقيّات أهل البيت عليهم السلام ولم يكن المولى الغريب بحاجة إلى هذا النوع من الدخول ضمن متطلّبات مهمّته القادم من أجلها.

فنزل كما أوصاه سيّد الشهداء على أوثق أهلها، حيث حطّ رحل السفر عند مسلم بن عوسجة (٢) وعند المختار(٣)، ثمّ انتقل إلى دار

---

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٥/٥١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١/١٩٠، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢/١٦٤.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٥/٣٤٧- ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١/١٩٠، تهذيب الكمال للمزّي: ٦/٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢/٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١/٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤/٣٣٥، المنتظم لابن الجوزي: ٥/٣٢٥.

(٣) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢/٣٣٤، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢- ٢٣٣، تاريخ الطبري: ٥/٥٦٩، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٠/٢٢١، الإرشاد للمفيد: ٢/٣٨، بحار الأنوار: ٤٤/٣٣٥، العوالم للبحراني: ١٧/١٨٥، روضة الواعظين للفتّال: /١٤٨، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٣، ←

هاني بن عروة (١)، وذلك لوصيّة سيّد الشهداء حيث أوصاه أن ينزل عنده ويجعله مقرّه (٢).

الثقات لابن حبّان: ٢/٣٠٧.

(١) الطبقات لابن سعد: ٤ ـ ١/٢٩، انظر أيضاً: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢/٣٣٦، ٣/٤٢٢. البدء والتاريخ للبلخي: ٢/٢٤٠، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣/٤٢٢.

(٢) في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/٢٦٩، سير أعلام النبلاء: ٣/٢٠١، المختصر لابن منظور: ٢٧/٥٨: وقد كان الحسين عليه السلام قدّم مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة، وأمره أن ينزل على هاني بن عروة المرادي، وينظر إلى اجتماع الناس عليه، ويكتب إليه بخبرهم.

٥

فدبّ الناس حينما سمعوا بوصول سفير الحسين يدخلون عليه جماعات جماعات [١]. والمولى الغريب يباشر قراءة كتاب سيّد الشهداء عليهم فتتفجر العواطف وتستجيش النفوس وتفيض الدموع [٢]، وامتازت من تلك الساعة مواقف الشيعة المعتقدين بإمامة سيّد الشهداء الأبرار عن الشيعة بالمعنى اللغويّ، إذ اكتفى الحشد الخاوي بالبكاء وذرف الدموع والغليان الخافت، وانبرى أمثال عابس وحبيب

---

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٣٤/٢، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢- ٢٣٣، تاريخ اليعقوبي: ٢١٥/٢- ٢١٦، تاريخ الطبري: ٣٤٧/٥- ٣٤٨، الفتوح لابن أعثم: ٥٦/٥، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٦٣، البدء والتاريخ للبلخي: ٢٤٠/٢، الكامل لابن الأثير: ٢٦٧/٣، تجارب الأمم لمسكويه: ٤٢/٢، الأمالي للشجري: ١٩٠/١، تهذيب الكمال للمزّي: ٤٢٣/٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٣٤٩/٢، الإصابة لابن حجر: ٣٣٢/١، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٣٣٥/٤، المنتظم لابن الجوزي: ٣٢٥/٥، الإرشاد للمفيد: ٣٨/٢، بحار الأنوار: ٣٣٥/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨٥/١٧، روضة الواعظين للفتّال: /١٤٨، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٣، الثقات لابن حبّان: ٣٠٧/٢.

(٢) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٧، الكامل لابن الأثير: ٢٦٧/٣، نهاية الإرب للنويري: ٣٨٧/٢٠، تاريخ ابن خلدون: ٢٢/٣، الإرشاد للمفيد: ٣٨/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٨، اللهوف لابن طاووس: ٣٧، بحار الأنوار: ٣٣٥/٤٤..

والحنفيّ فأصحروا عن الكوامن النيّرة والثبات والعزم على الدفاع عن عزيز الزهراء وحبيب رسول الله وقرّة عين سيّد الأوصياء [١]، وامتازت هنا الفرقتان! كما امتازت من قبل في تعبيراتهم التي احتوتها كتبهم ورسائلهم.

(١) تاريخ الطبري: ٣٥٥/٥، نفس المهموم للقمّي: ٨٣، الفتوح لابن أعثم: ٥٦/٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٩٧/١.

﴿ ٦ ﴾

فبايع مَن بايع وجدّد البيعة من كاتب واجتمع عنده زهاء ثمانية عشر ألفاً ممّن أعلن الاستعداد للذبّ عن ريحانة النبيّ ووديعته في أمّته، كما ورد في الأخبار.

وهذا العدد لا يمثّل الأعداد الهائلة التي كانت تقطن الكوفة يومئذٍ، بالخصوص إذا لاحظنا أنّ الكوفة يومذاك كانت ثكنة عسكريّة وتدعى: «كوفة الجند».

وأقلّ ما يقال فيها أنّها كانت تحوي مائة ألف سيف (١)، فيكون العدد المبايع أقلّ من خُمس العدد القادر على القتال بالفعل، فهم أقلّيّة رغم ضخامة العدد المرويّ.

بل إنّ عدد الثمانية عشر ألفاً المذكور لا يساوي حتّى أتباع هاني ورجاله من مراد فقط وأحلافها من كندة.. قال **المسعودي في المروج**:

«وهو ـ يعني هاني بن عروة ـ يومئذٍ يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً فشلاً وخذلاناً» (٢).

والمفروض في العدد غير المبايع أن يكون على ولائه للسلطان، وفي

(١) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١، وغيرها.
(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٠.

أفضل حالاته يكون خاذلاً لسيّد الشهداء عليه السلام، ولايقال عنه أنّه ناصر للحسين عليه السلام، فهو لايريد أن يسجّل موقفاً مع المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، ولايمكن أن يُصوّر في المحايدين، لأنّ خذلان الحقّ وترك نصرته والحياد فيه خيانة ومذلّة.

فالأكثريّة الساحقة كانت في عداد الخاذلين للحقّ منذ البداية، ولم تعلن ولاءها لسيّد الشهداء عليه السلام بالمكاتبة ولاالمبايعة لسفيره، لأننا لو افترضنا ـ وهو فرض بعيد ـ أنّ الذين كاتبوا غيرالذين بايعوا، فسيكون مجموعهم أقلّ من سكّان الكوفة ومقاتليها.

على أنّ العدد المبايع المشهوريربو قليلاً عن نصف العدد الذي كان يركب به هاني.

ومن الواضح أنّ الكوفة يومها كانت أكبرمن مراد وكندة جميعاً، بل إنّ مراد وكندة كانت أكثرمن ذلك، لأنّها لم تكن جميعاً تنضوي تحت راية هاني وتتولّى زعامته.

وإذا كان هاني يركب في العدد المذكور(ثلاثين ألفاً)، فهذا يعني أنّ أتباع هاني أيضاً لم يبايعوا جميعاً، وذلك لأنّ العدد المبايع والمكاتب كان عبارة عن خليط متراكم من مجموع الكوفة وليس من مراد وكندة فقطّ، ففيهم الكنديّ والمذحجيّ والهمدانيّ وغيرهم.

فكان فيهم من يستجيب للزعامة القبليّة غيرأنّه لم يعلن استعداده

للاستجابة للحقّ والقيام مع الإمام عليه السلام أو سفيره عليه السلام.

وهذه النتيجة ليست غريبة على المجتمع الكوفيّ الذي كان الشيعة فيه من أصغر الأقلّيّات، وإن كانوا بالنسبة إلى أعداد الشيعة في غيرها من البلدان كثيرين.

ومن البديهيّ أنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام كان على علم تامّ بخذلان الأكثريّة وعدم استجابتها لنداء القرآن وانصياعها المذلّ المشين لهتاف الشيطان، منذ أن ورد الكوفة، بل قبل ورودها.

وهذا كلّه لايمنع من المجيء إلى الكوفة لإقامة الحجّة وإتمامها، فالإمام الحسين عليه السلام هو حجّة الله البالغة وسفيره مسلم عليه السلام هو المبلّغ عنه.

﴿ ٧ ﴾

كان النعمان بن بشير والي الكوفة من قِبَل القرود الأمويّة يوم دخول البطل الهاشميّ سفير سيّد شباب أهل الجنّة، وكان رجلاً مراوغاً خبيثاً له تاريخ طويل في عداء أهل البيت والنصب لهم وكان له هوى في قتال أمير المؤمنين وقتل شيعته وكان عثمانيّاً مبتذلاً مشهوراً، ولم يكن فيه شيء من نبل الأنصار، ولا شرف الإنسان السويّ، وكان منذ بدايات النكبة التي دهت الإسلام والمسلمين مباشراً حاطباً فيها يخدم الأمويّين ويحارب أمير المؤمنين عليه السلام، تحمله النخوة الجوفاء، وتحرّكه الحميّة العمياء، ينعق مع الناعق ما درّت معايشه، لبس الدين لبس الفرو مقلوباً، وحاك قميص قيمه من وبر القرود الأمويّة، يبحث عن «الأنا» الهابطة الكامنة في أعماق كيانه في كلّ حقير وخطير، عاش سارحاً في غابة أبي سفيان، متقلّباً بين أقدام وحوشها، مشدوداً إلى الشجرة الملعونة في القرآن.. فلمّا وجد الغابة تكاد تعصف بها رياح خريف مروان بايع لابن الزبير، فكان فيها حتفه..

فلا يظنّنّ أحد خيراً في هذا الوجود العفن بعد أن دنس صفحات التاريخ بسيرته الذاتيّة النتنة، لموقف لا يمكن تفسيره بحسن الظنّ، مع وجود عوامل ودوافع ومسوّغات تنبع من مستنقعه الآسن، فتكشف عوار موقفه المدفوع بالغريزة البهيميّة أو حبّ الذات والأنانيّة والظهور

بمظهر الحمل الوديع لأسباب وأغراض واضحة فيه تسفر عنها حقيقته الملوّثة.

ولا يهمّنا ما قدّمه المؤرّخ من وصف زائف له عند نقله لخطبة النعمان وحشوها بجملة اعتراضية تصفه بالنسك وحبّ العافية، فإنّه لمّا رأى المولى الغريب عليه السلام منهمكاً في أداء مهمّته من دون إبداء أيّ موقف يصحر فيه عن قصد الانقضاض على الحكم ومواجهة الوالي أو محاربته وإخراجه من مركز ولايته وحكومته، فتربّص حتّى تتكشّف له الأمور وتصله الأوامر من القرد القابع في قصور الشام، بيد أنّه خطب خطبة هدّد فيها وأزبد وأرعد وتوعّد من خالفه واخترق حظيرته وحصانته التي اختطّها للناس فإنّه سيقاتله قتالاً شديداً وأنّه سوف لن يفرط بمركز ولايته وحكومته وسيدافع عنه ولو كان وحيداً لا ناصر له ولا معين.

فربما عبّر النعمان عمّا عبّر عنه ابن الأمة الفاجرة وأمثاله، حينما وعد السامع المطيع البرّ والصلة والزيادة في العطيّة والرأفة والرحمة والقربى والزلفة عند السلطان، وتوعّد من يسمّيه العاصي والمتمرّد بالعقاب بجميع ألوانه وأشكاله..

فجاءت عبارات النعمان في نفس هذا النسق وعلى نفس الوتيرة، غاية ما في الأمر أنّه وعدهم أنّه سيعامل من يقف على الحياد معاملة لا

تودي به، ولم يعدهم الصلة وزيادة العطاء ومعاملة الوالد الشفيق والأمّ الرؤوم كما كان غيره يزعم.

فهو في الحقيقة تكلّم ووعد تماماً كما فعل ابن زياد وغيره، بيد أنّه عبّر عن ذلك بطريقته التي فهم منها الراوي الحلم والتعقّل!

ويبدو لمن تابع سيرة النعمان الذاتيّة أنّه كان ممّن يرجّح التعامل بالنفاق والمداراة في ساعة العسرة، فهو ليس صداميّاً بالطبع، وإن كان لا يتحرّج عن المواجهة إذا اقتضت مصالحه ذلك، أو اضطرّته الضرورة، ولهذا فقد بدأ بالتهويل والتهديد في خطابه، ثمّ عرّج على التحييد والاستدراج، ثمّ عاد إلى لغة التهديد في نهاية خطابه من جديد.

فعمد إلى خصال جعلها ميزاناً لتسويغ مقاتلتهم، وأكّد عزمه على ذلك باليمين المغلّظة، وباقي أدوات التأكيد من قبيل اللام ونون التوكيد وغيرها، فحدّه معهم ما سلم وسلمت إمارته، أمّا إذا تعرّضوا له ولإمارته فأبدوا له صفحتهم، أو نكثوا ونقضوا بيعتهم، أو خالفوا إمامهم! فالأمر سيختلف!

فهو لا زال يقرّ بالبيعة ليزيد القرد اللاعب بأشباهه وإخوانه من القرود، ويدعو لها ويعاقب ويقسم على قتال من خالفه، ويصفه بإمام المسلمين!! ويرى في إبداء الصفحة له كفاية في تسويغ القتال..

وهو يؤكّد ويقسم أنّه سيقاتل إلى آخر نفس يخرج ببخره النتن ما

ثبت قائمه في يده، ولو كان وحيداً لا ناصر له..

ولا يكشف قوله: «ولو لم يكن لي منكم ناصر» أنّه كان وحيداً حقّاً، وإنّما يريد أن يعرب عن مدى إصراره وثباته في القتال..

ثمّ عاد إلى تهديده المخمليّ المغلّف فقال: «مع أنّي أرجو أنّ من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يريد الباطل» [1]، فهو حثّ على العودة إلى غابة القرود والخنوع في حظيرة شياه السلطان!

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥/٥٧، تاريخ الطبري: ٥/٣٥٥.

٨

واقتضت المصالح الأمويّة يومها إجراء عدّة تغيرات حكوميّة في الولاة سيّما في المناطق الحسّاسة التي كانت تعدّ في حساباتهم بؤر اختلاف وكوانين خطر على غابة القرود من قبيل مكّة والمدينة والكوفة والبصرة، فأجرت التغيّرات اللازمة التي اقتضتها تطوّرات الأحداث بعد هلاك معاوية، فاستبدلت الولاة بولاة أكثر بطشاً وجرأة على اقتحام المحرّمات والولوغ في الدماء، ولها تاريخها في الإجرام والقتل والتشريد والتنكيل وصلب الناس على جذوع النخل وتسميل أعينهم وصلب رجالهم واقتطاف جماجمهم.

فسلّط القرد المخمور جروه المسعور ابن زياد على الكوفة وحثّه أن يطير بجناحين إلى الكوفة، فقتل سفير سيّد الشهداء سليمان [1]، وخطب في البصرة خطبة هدّد فيها تهديداً مرعباً ثمّ استخلف أخاه

---

(١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣، تاريخ الطبري: ٣٥٧/٥، الفتوح لابن أعثم: ٦٢/٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٩٩/١، الكامل لابن الأثير: ٢٦٨/٣، نهاية الأرب للنويري: ٣٨٩/٢٠ مثير الأحزان لابن نما: ١٢، اللهوف لابن طاووس: ٤٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٣٣٩/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨٩/١٧، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٨/٨، نفس المهموم للقمّي: ٩٠.

عليهم وسارإلى الكوفة [١] في ركب مختصر [٢] يعينه على سرعة السيرولا يبديه للناظرأنّه ركب رسميّ، فوصل مشارف الكوفة ومن معه مساءاً فنزل هناك وانتظرحتّى دخل الليل فتنكروتلثّم ودخل المدينة [٣] خائفاً

---

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٣٥/٢، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، تاريخ الطبري: ٣٥٨/٥، الفتوح لابن أعثم: ٦٣/٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٩٩/١، الكامل لابن الأثير: ٢٦٨/٣، مثيرالأحزان لابن نما: ١٣، اللهوف لابن طاووس: ٤٤، بحار الأنوار: ٣٣٩/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨٩/١٧، نهاية الأرب للنويري: ٣٨٩/٢٠، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٨/٥.

(٢) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٣٥/٢، ٣٤٢/٢، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، تاريخ الطبري: ٣٥٨/٥، الفتوح لابن أعثم: ٦٤/٥، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٦٣، الإرشاد للمفيد: ٤٠/٢، روضة الواعظين: ١٤٩، بحار الأنوار: ٣٣٧/٤٤، العوالم للبحراني: ١٨٦/١٧، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٩٩/١، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٤٤/٢، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٢/٨، نفس المهموم للقمّي: ٩١..

(٣) انظر: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٣٥/٢، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، تاريخ الطبري: ٣٤٨/٥، ٢٥٨، ٣٥٩، الفتوح لابن أعثم: ٦٥/٥، مروج الذهب للمسعودي: ٦٦/٣، الأمالي للشجري: ١٩٠/١، تهذيب الكمال للمزّي: ٤٢٣/٦، سيرأعلام النبلاء للذهبي: ٢٠٦/٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٣٤٩/٢، الإصابة: ←

على حين غفلة من أهلها وهو يحاذر ويحتاط حتّى دخل قصر الخبال..

فدفع النعمان إليه زمام الولاية ومكّنه من مركز الحكم والسلطان، وخرج النعمان إلى الشام [1] ليباشر عمله فيما بعد كوالي على حمص.

٣٣٢/١، ما استدركه ابن بدران على ابن عساكر: ٣٣٦/٤، المنتظم لابن الجوزي: ٣٢٥/٥، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٦٣، الإرشاد للمفيد: ٤١/٢، بحار الأنوار: ٣٤٠/٤٤، العوالم للبحراني: ١٩٠/١٧، نفس المهموم للقمّي: ٩٣، تجارب الأمم لمسكويه: ٤٢/٢، إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٩٩/١، مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للأربلي: ٤٢/٢، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، اللهوف لابن طاووس: ٤٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٤٤/٢، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٠١/٣، الفصول المهمّة لابن الصباغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧ ...

(١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤.

﴿ ٩ ﴾

دخل ابن زياد إلى الكوفة وكانت الكوفة يومها تحفّها الجنود والحرّاس وكانت قطعات العسكر المنتظم في الثكنة العسكريّة التي أسّسها عمر بن الخطّاب قائمة متماسكة لم يختل فيها نظام ولم تزعزعها الأحداث، وكانوا من الكثرة ما خوّل ابن الأمة الفاجرة ابن زياد أن يملأ بهم الصحراء وينظمها من جميع أطرافها المحيطة بالكوفة بحيث تمسح كلّ حركة وسكنة وتفتّش كلّ داخل وخارج، ولم نسمع في التاريخ أنّ عساكر الكوفة التي كانت معدّة دائماً للغزو والتنقّل في المصائف والمشاتي قد انخرمت أو انخرقت، إذ بقيت تحت إمرة الطاغوت بحيث كان ابن زياد يهدّدهم بتفريق أبنائهم في الغزوات والإبعاد إلى الجبهات..

وكانت الشرطة المكلّفة بحفظ الأمن الداخليّ من الكثرة والتنظيم ما يسع تكليفها من قبل ابن زياد بمسح الكوفة وتسليطهم على الدور رغم سعة المدينة يومها لتستبرءها كاملة، فأجاب الحصين رئيس الشرطة ووعد بامتثال الأمر دون أن يشتكي نقصاً في العديد أو العدّة..

وكانت الحرّاس التي تجوب المدينة ليلاً ونهاراً لحفظ الأمن والحرس الشخصيّين لابن الأمة الفاجرة وغيرها من القوات متوفّرة في البلد جاهزة لتنفيذ الأوامر الصادرة لها من قياداتها.

وقد أُحصيت القطعان التي شاركت بالفعل يوم النداء بالشعار

فقطّ، فكانت على الأقلّ عشرة ـ أحصيناها على عجل، وهي وإن لم يصرّح بها التاريخ تصريحاً واضحاً، وعرضها بشكل مغبش استخدم التعتيم والتلغيز في التعبير، إلّا أنّها تتكشّف للمتأمّل بسرعة حينما يقرأ النصّ ـ خرج كلّ قائد لها بالزبد الذي تبعه وعقد له راية، لأنّ مفهوم قول الدعيّ: «اخرج فيمن أطاعك» (١) يعني تخويله وتأميره وعقد الراية له.

وهذا الإحصاء البسيط يكشف زيف الادّعاء التاريخيّ الذي يؤكّد بقاء ابن زياد في بداية الأمر وحده لا ناصر له ولا أتباع، ثمّ تحوّل الناس إلى جهته بفعل خططه وسياساته!

ولا يخفى أنّ هذه القطعات التي عرفناها من خلال استنطاق النصّ التاريخيّ تنتظم في العسكر الذي باشر الممارسات والتحرّكات العسكريّة يوم حصار القصر، ويمكن أن يتوسّع الباحث في التنقيب والتنقير، فيحصي أصحاب الرايات والقطعات التي كانت منتظمة من قبل ضمن جيش السقيفة المتواجد في الكوفة باعتبارها مركز الجند وثكنة العسكر، أو التي ميّزها ابن زياد في الأرباع كما روى **البلاذري** و**الطبري**:

«فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم» (٢) ...

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١.

(٢) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

﴿ ١٠ ﴾

وكان التعداد السكّانيّ في الكوفة يشير إلى وجود كثافة سكّانيّة ملحوظة، لاتشكّل الأعداد المكاتبة إلى سيّد الشهداء فيها إلّاأقلّيّة، أمّا الآخرون فقد كانوا بين منتظم في السلك العسكريّ الخاضع لجهاز الإدراة الحكوميّ، وبين متربّص ينتظر ما تؤول إليه الأمور وهم الأميل إلى الصفراء والبيضاء والدعة والرخاء وخرّيجي مدرسة السقيفة الذين ناحوا وبكوا ولطموا الرؤوس يوم امتنع أمير المؤمنين ورفض أن يصلّي بهم صلاة التراويح فملأوا الدنيا صراخاً «واسنّة عمراه» (١)..

وثمّة عدد من المبايعين والشراذم المتموّجين وهو يبدو لو لوحظ وحده هائلاً كثيفاً، ولو لوحظ داخل الدائرة السكّانيّة والعسكريّة الكبرى في الكوفة لما كاد يبين..

في مثل هذا الجوّ دخل ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة، دخل إذ دخل، وفي الكوفة نظام حكم قائم وجهاز دولة متماسك وعساكر وشرطة وقوات أمن داخليّ منتظمة في قطعاتها، وعرفاء أوفياء للسلطة لم يشهد لهم موقف واحد شريف مع سفير الحسين طيلة أيّام تواجده في الكوفة.

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ٨/٣١، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٨١/١٢.

﴿ ١١ ﴾

كان المولى الغريب عليه السلام مقيماً في مقرّه الأخير عند ناصره هاني بن عروة وقد بايعه الرجال ثمّة، وكانوا يدخلون ويخرجون عليه، للبيعة أو لتجديدها، أو للتزوّد منه والتعلّم والتبرّك به، أو لأيّ غرض آخر، ويكفي أن يدخل هذا العدد على منطقة واحدة أو دار واحدة خلال هذه الفترة الوجيزة، لتكون المنطقة أو الدار مرصودة لكثافة التحرّك فيها واختلاف الناس عليها، سيّما أنّ صاحبها كان من أصحاب أمير المؤمنين ورؤوس الشيعة الأبرار الطيّبين، وهذا الأمر كافٍ لتسويغ مراقبة الدار إذ أنّ المولى الغريب عليه السلام إنّما ينزل عند رؤوس الشيعة وجماجمهم ووجهائهم وعليتهم.

ثمّ إنّ ثمانية عشر ألفاً كلّهم دخلوا على المولى الغريب عليه السلام في هذه الدار، وهم كما يعدّون رقماً في حسابات المولى الغريب يمكن أن يعدّون أرقاماً لابن الأمة الفاجرة، فليس كلّ من دخل كان من الموثوقين أو المعروفين المشهود لهم بالإيمان، بل على العكس تماماً، فكلّ واحد منهم كما كان من أنصار المولى على نحو الاحتمال، كان مرشّحاً ليكون من العيون والأعداء، إلّا من ثبتت وثاقته وعرف إيمانه وثباته، وقليل هم، إذ أثبت رفع النداء أنّ الأكثر على الإطلاق كان في عداد المنهزمين الأوغاد المتملّقين..

وفي هذا العدد المهزوز ما يكفي أن يكون فيهم عيون لابن الأمة

الفاجرة كما كان للمولى الغريب عليه السلام عيون على أعدائه [١] بحكم طبيعة الموقف وضرورات الحزم ومراقبة حركة الأحداث ومتابعة الأوضاع.

---

(١) في تاريخ الطبري: ٣٦٨/٥، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٦٦، الإرشاد للمفيد: ٥٠/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٣٤٨، العوالم للبحراني: ١٩٧/١٧: عن عبد الله بن خازم، قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر، لأنظر إلى ما صار أمر هانئ ...

﴿ ١٢ ﴾

فكان الوغد المتوحّش عُبيد القرود متربّصاً بالدار مترصّداً لها فأقدم على اعتقال ناصر سفير الحسين هاني بن عروة، فخذله أهل الكوفة وتخلت عنه عشيرته إذ خرجت بقيادة عمرو بن الحجّاج الزبيديّ بأعدادها الخاوية، وهي لاتريد سوى أن تطمئنّ على سلامة زعيمها ليس إلّا، فجعل عمرو ينادي ويطمئنّ ابن زياد أنا عمرو بن الحجّاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة (١).

وهذا الطاغي الفاسد يعني ما يقول، وكلماته لها دلالات واضحة لا لبس فيها ولاتغبيش، وقد تقدّم نحو القصر يقود الزبد المتعفّن الممتثل لأوامره، المطيع لرأيه إطاعة عمياء تستعدّ معها للتخلّي عن مطلبها في إنقاذ زعيمها وسيّدها، فأخبرهم شريح الكذّاب أنّه سالم، فنادى فيهم بالرجوع فرجعوا!!!

فنادى المولى الغريب عليه السلام بشعاره واجتمع له عدد اختلف المؤرّخون في تخمينه بين الأربعمائة (٢) والثمانية عشر ألفاً (٣)، وكان يروم استنقاذ هاني بن عروة ولو باستعراض القوّة أمام القصر أو حواليه،

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠، واللهوف: ٤٧.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

(٣) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩، مروج الذهب: ٣ / ٥٨.

أو لأيّ غرض كان. غير القول بأنّه كان يقصد احتلال القصر والاستيلاء على مقاليد الحكم في الكوفة، إذ أنّ هذا القول لا شاهد عليه في التاريخ ولا دليل، ولا يصمد أمام النقد، على أنّ مهمّة المولى الغريب عليه السلام المكلّف بها من سيّد الشهداء عليه السلام لا تتضمّن هذه الفعّاليّة ولم يؤمر بها، ولا يصدّق من له أدنى معرفة بالمولى العالم المسلّم مسلم عليه السلام أن يتخطّى الأوامر والتعاليم الصادرة إليه من إمامه (١).

نعم! قد يكون نداءه بالشعار كان ضمن دائرة تكليفه، إذ كان عليه أن يختبر نيّات الناس وصدقهم وتطابق كتبهم مع أفعالهم، فدعاهم بالنداء ليكشف لهم زيفهم وحقيقة أمرهم، ويختبرهم في ساعة العسرة.

فاستجلب عُبيد القرود ابن زياد قواته وأعلن حالة الإنذار والنفير العامّ، فانتشرت قطعانه العسكريّة بقياداتها، وانتشرت في الكوفة حسب التخطيط المرسوم لها وانجحر ابن الأمة الفاجرة في القصر مستوحشاً خائفاً مرتعشاً مرتجفاً يقرض ذيله ويقضم أنامله ملتصقاً بجدران القصر، مختبأ خلف أسواره.

---

(١) أتينا على بيان ذلك مفصّلاً في بحثي «ثائر أم سفير» و«معركة القصر».

﴿ ١٣ ﴾

تفرّق الجمع الضئيل الذي لبّى نداء المولى الغريب عليه السلام استجابة لأغراضهم ومطامعهم ومصالحهم ومنافعهم التي دفعتهم لإعلان البيعة:

إذ كانت جملة الدواعي والدوافع التي بايع بناءاً عليها هؤلاء القوم كانت عائمة تتنقّل حيث يدفعها الموج من جهة إلى جهة، ومن جبهة إلى جبهة.

وأنّهم كانوا ينتمون إلى قاعدة ويطفون على سطح يتحرّكون بتحرّكه، ويتنقّلون بتنقّل تلك القاعدة، فالانتهازيّون يطلبون العيش الرغيد ولا يبالون أين كان ومع مَن كان، فلمّا وجدوا الرياح تهبّ مع القوّة العسكريّة الهائلة التي اجتاحت المدينة، وهم على دين ملوكهم منذ يوم السقيفة ...

والأكثريّة التائهة قد نبت أصلها في السقيفة، فإذا مالت الريح بعيداً عنها سرعان ما تعود إلى الأصل، وهي تثوب مع الجمع الكبير، وتسير بالعقل الجمعيّ الحقير، وتنحدر إلى القاع، وهي لا تقرّ لغصن الرسالة وشجرة النبوّة ومعدن الطهارة إلّا إذا فقدت من يحميها من أسيادها، فإذا قام ناعقها تبعته تبعيّة الفرع للأصل.

وطلّاب العافية والدعة، يسافرون حيث تتحقّق بغيتهم، وتتوفّر لهم وسائل الدعة والراحة التي تمكّنهم من الاسترخاء والتبذّل، ويتقلّبون

على الوسائد الوثيرة لينعّموا بالنوم الهاني، فإذا قامت الحرب كان الوقوف على التلّ أسلم لها، توزّع العواطف وتنثر القلوب من داخل الصدور على هذا الفريق أو ذاك، وليس للحقّ عند هؤلاء القوم منزل ولا مقام ولا قيمة إلّاإذا وفّر لها الدعة والراحة التي جعلوها هدفاً يتوقّون إليه، وأمنية يحلمون بها، وهدفاً يسعون إلى تحقيقه.

أمّا المسيّرون بأمر زعيم القوم ورأس القبيلة، فلا يمكن أن يحزر لهم موقف، ويبنى على اجتماعهم وكلمتهم، تقيمهم كلمة وتقعدهم كلمة، وتدفعهم صرخة وتمنعهم زجرة، وتجدهم يتجمهرون تحت أقدام الزعيم، وقد رأينا الزعيم داخلاً في الفئات الأخرى سوى طلّاب الحقّ، فهو إمّا انتهازيّ، أو طالب دعة، أو عبد للدنيا وما شاكل، فلمّا وجد ما يحبّ تحت أقدام ابن الأمة الفاجرة سارع إلى هناك يخبّ ويحبو بمن تحت قدميه.

والخوارج وأمثالهم لادين لهم ولااعتقاد، ولايحكمهم ذوق ولا آداب، يبتغون الفتنة، أين وجودوها ألقحوها، وقد التحقوا بالمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام طمعاً في قتال أبناء البغايا، فلمّا رأوا ابن الأمة الفاجرة قد رفع راياته وجدوها فرصة لايجود بها الدهر إلّاقليلاً، فالتحقوا به متوثّبين على ذرّيّة الرسول صلى الله عليه وآله وأبناء أمير المؤمنين وفاطمة البتول عليهم السلام، وقد دلعوا ألسنتهم ليلغوا في الدماء الزاكية، أمّا الأمويّون

فإنّهم سيجدون من يجمعهم على محاربتهم في كلّ حين.

وعبيد الدنيا قد اتّخذوها إلهاً يحبّونها، لا يفكرون في فراقها أبداً، وقد تكشّفت الأمور عن الشهادة وفراق الدنيا الدنيّة مع سيّد الشهداء عليه السلام، وشمّوا رائحة بقيّة من عيش وبيل مع أبناء الدنيا، فانساقوا إلى صفّ إلههم ومعبودهم.

وتأثّر من تأثّر من الغوغاء والرعاع والهمج بالترغيب أو الترهيب، وعاد الناس إلى نصابهم حيث مال أتباع السقيفة إلى والي السقيفة، وصغى أهل الأطماع للأطماع، وخنع أهل الخوف للتهديد، وركع أهل المطامع للدنيا..

وهذه الأصناف المنقلبة كلّها كان انقلابها طبيعيّاً متوقّعاً، بل منتظراً في أيّ لحظة، لأنّ تحرّكها كان بداعٍ ودافع وسبب مبتنٍ على قواعد لهم مرسومة، لا يخفونها ولا يتنصّلون عنها، ولم يكن انقلابهم اعتباطاً، وقراراً آنياً يخالف المقرّرات وموقفاً تغيّر نتيجة تغيّر العقائد والفهوم والمبادئ والمنطلقات.

فهم أصحاب سوابق ومتبنّيات ثابتة من قبل، ولم يؤمنوا بالإمام الحسين عليه السلام طرفة عين أبداً ـ كإمام مفترض الطاعة من الله ـ لا قبل البيعة ولا بعد الخذلان.

وهذا ما تؤكّده كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وكلمات الإمام الحسن

المجتبى عليه السلام، وكلمات الإمام الحسين عليه السلام نفسه.

وهذه الحقيقة لم تكن بعيدة عن العالم العارف الخبير بمجتمع الكوفة ثقة الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل عليهما السلام.

* * * * *

تفرّق الجمع قبل أن تحصل أيّ مواجهات تثير الانتباه وتسترعي الاهتمام سوى بعض المصادمات الطفيفة المتفرّقة التي كانت تستهدف أشخاصاً بأعيانهم أو تستهدف شخص المولى الغريب عليه السلام نفسه، إذ لم يقع القتال بين أكثر من ستّين نفراً على أقصى التقادير الواردة في المتون التاريخيّة الصريحة (١)، وهي تكاد تكون منحصرة بمواجهة البطل الهاشميّ عليه السلام الذي صمد لهم حتّى تفرّقت الجموع.

وحصل تراشق بين جماعة كانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر(٢) والنشاب (٣)، ويمنعون الناس من الدنوّ من القصر(٤).

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.

(٢) المَدَرُ: قِطَعُ الطينِ اليابِس. انظر: لسان العرب، مجمع البحرين، العين.

(٣) النُّشَّابُ: النَّبْل والسهام. انظر: لسان العرب.

(٤) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩، تاريخ الطبري: ٣٦٨/٥، الإرشاد للمفيد: ٥٣/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٣٤٨/٤٤.

ولم يكن الاشتباك بين من كان على سور القصر ومن كان في الخارج مباشراً، ولم يتحقّق بينهم قتال والتحام.

ورمي الحجارة من الأرض إلى أعالي سور القصر على ارتفاعه وتحصّنه لا أثر له ألبتّة، ورمي الحجارة والنشاب من أعلى السور باتّجاه المتواجدين على الأرض لم يكن قتالاً، فهم لم يشتبكوا مع القوم، وإنّما كان الخوف يدفعهم لاتّخاذ إجراء يمنع القوم من الدنوّ من القصر، ليس إلّا.

على أنّ ما يسمّى: «المواجهة» كانت بين شرذمة على السور وجماعة على الأرض لو اعتمدنا رواية **ابن سعد والطبري** لا يتجاوز عددهم الستّين ...

ولو اعتمدنا النصوص المتعلّقة بهذا المشهد، فهم خليط من الزبد الذي تدفعه التهديدات الفارغة، وتفتّته دعوات الأقرباء الواهية.. لأنّهم لمّا سمعوا مقالة القوم وهم يهدّدونهم من أعالي القصر فتروا، وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمّه فيقول: «انصرف، فإنّ الناس يكفونك، وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع» (١).

---

(١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

﴿ ١٤ ﴾

وعندها صلّى المولى الغريب عليه السلام والبطل الهاشميّ سليل إبراهيم الخليل في المسجد الأعظم واثقاً مطمئنّاً تملأه السكينة ويسربله الوقار، ثمّ خرج يمشي بمتانة يرجّ الأرض بأقدامه رجّاً، متماسك القوى، ثابت الجنان، راسخ الإيمان، لم تؤثر فيه الجراحات التي أصابته أثناء المساجلات مع الجرذان، وقد كظّه العطش، فخرج من نفس الباب التي دخل منها إلى المسجد، واختار باب كندة على غيرها من الأبواب الشارعة في المسجد على علم منه لأنّها تؤدّي إلى الجهة التي يريد أن ينفذ إليها ويسلكها.

فخرج وهو يعرف الكوفة معرفة كاملة ويعرف مناهجها وسككها وأزقّتها فقد عاش فيها ردحاً طويلاً من الزمن أيّام خلافة عمّه وأبي زوجته أمير المؤمنين، وهو يتردّد في تلك المنطقة بالذات، وكان يومها قائداً من قوّاد عسكر أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كان ولا زال المسجد الأعظم وقصر الخبال مركز المدينة، فمهما تغيّرت البلاد خلال فترة غيبة المولى الغريب عليه السلام عنها، فإنّها كانت ثابتة المعالم في مواضع تحرّكه.. فهو لم يتلدّد ولم يخف ولا اعترضته حيرة أو ذهول وكان قلبه كزبر الحديد، تملأه السكينة ويغمره الوقار، ولم يحتج إلى من يدلّه على الطريق.. وهو يتردّد في تلك المنطقة منذ شهرين على الأقلّ لأيّ غرض من الأغراض،

وكيف يعقل أن يخرج الرجل من داره ثمّ لا يعرف طريق العودة إليها في الأجواء الطبيعيّة فضلاً عن الخروج إلى المواجهة! أجل! قد يكون تعبير المؤرّخ كناية عن غربته ووحدته.

ثمّ قصد أحياء كندة حتّى نزل عند المرأة الصالحة طوعة، وكانت ممّن خفّ مع المولى الغريب على حد تعبير **الدينوري**.

وبات تلك الليلة مكرّماً معزّزاً في ضيافة هذه العجوز الكبيرة التي أكلت السنون أيّامها وزهرة عمرها، ولا يبعد أن تكون العساكر والمفارز والمسالح تحوم حول البيت، وقد شوهد وهو يدخل البيت، إذ أنّ الكوفة كانت مزدحمة بالمقاتلين والفرسان والخيّالة والرجّالة وقوات الأمن الداخليّ من الشرطة والحرس، والقطعات العسكريّة تجوب الكوفة على العموم وتلاحق المولى الغريب عليه السلام على الخصوص.

﴿ ١٥ ﴾

وفي غداة غد أرسل الطاغية المذعور قادته الذين كان يظنّ أنّهم صناديد جيشه وأبطال عسكره إلى بيت المرأة الصالحة، فجاءته الحرّة لتخبره بقدوم الخيل والرجال، وقد سمع المولى الغريب عليه السلام صهيل الخيل واصطكاك الأسنّة وزعقات القوم، فقام مبتسماً، فناولته الحرّة سيفه، وقامت له بواجب الوفاء والولاء والتعظيم والتكريم، وقامت بواجب التشجيع وشاركته إذ فتحت له الباب لتفاجأ القوم بالغضنفر الهاشميّ الذي هجم عليهم فمزّقهم تمزيقاً، فافترقوا عليه فرقاً يحاربونه بالنار والحجارة والسهام والسيوف، وهو يكرّ عليهم الكرّة بعد الكرّة، وهم يغيّرون خططهم الحربيّة ليستوعبوا الموقف ويستمدّون العدّة والعدد.

فقاتلهم قتال الأبطال، وصار مثلاً يتبجّح به كلّ الفرسان مدّة عمر الدنيا وطول التاريخ وعبر العصور والأزمان، فشتّتهم بسيفه، وجعلهم أشلاء متناثرة، ولطش رذاذ لحومهم على الجدران، ومشى على جماجمهم، وزرع سككهم خوفاً ورعباً، وسلب أرواح صناديدهم بصارمه، فجعلهم يلوذون منه بالسواتر وسطوح المنازل، ويتوسّلون به ليقبل الأمان، وهم يتمنّون منه القبول ليأمنوا من سطوته، إذ كان يأخذ بعنق أحدهم فيرمي به فوق السطح، ولم ينجهم منه إلّا مقادير الحكيم العليم المنّان.

قاتلهم المولى الغريب عليه السلام وأبلى بلاءاً حسناً وبذل غاية المجهود، فكظّه الظمأ، وأخذه النزف، وأثخنته الجراحات، فعرضوا عليه الأمان لأنهم علموا أنهم لايقدرون عليه بغيرذلك، فأبى أمانهم وقال:

«لاحاجة لي إلى أمان الغدرة (١).

فقال ابن الأشعث: لاتقتل نفسك وأنت في ذمّتي. قال: أتظنّ ـ يا ابن الأشعث ـ أنّي أعطي بيدي وأنا أقدرعلى القتال، لا والله لايكون ذلك أبداً (٢)، أُوسروبي طاقة؟! لاوالله لايكون ذلك أبداً (٣)، وحمل عليه فهرب منه، فقال مسلم: اللّهمّ إنّ العطش قد بلغ منّي. فحملوا عليه من كلّ جانب، فضربه بكير ابن حمران الأحمريّ على شفته العليا، وضربه مسلم في جوفه فقتله، وطُعن من خلفه فسقط من فرسه»..

فكانت ضربة الأحمريّ الجبان وطعنة الظهروالخاصرة التي أردته صريعاً إلى الأرض، ولولاذاك لما كان لبطل هاشم وفارس عدنان قرين في الكوفة كلّها بما فيها من جيوشٍ وعساكرومقاتلين.

وهذا العارض متوقّع في ميادين الحرب وساحات الوغى في الوقائع

---

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٩.

العاديّة، فكيف بمن قاتل وحده بلا ناصرٍ له ولا معين ولا مددٍ له ولا مغيث، فلو أنّ مقاتلاً بطلاً أُصيب بما أُصيب به المولى الغريب عليه السلام لَسارع أعوانُه وأهل عسكره لنجدته وتوثّب أصحابه لاستنقاذه من براثن الأعداء، ولو كان أبو الفضل العبّاس عليه السلام حاضراً عنده لحمى له ظهره وأبعد عنه الذئاب، وحمله الأنصار وأهل البيت ولم يبق أسيراً بيد الأعداء.

بأبي المستضعف الغريب، قاتل وحده، فلمّا هوى إلى الأرض صريعاً لم يجد إلّا الأسنّة والسيوف تحوطه، والأعداء قد احتوشوه من كلّ جانب ومكان، تماماً كما أحاطوا بسيّد الشهداء عليه السلام كالحلقة واحتوشوه بعد أن ترجّل عن فرسه.

فحكم القدر جارٍ، وإذا اختار الله عبده للقائه جرت عليه المقادير، كما جرت على أمير المؤمنين عليه السلام مجبّن الشجعان ومجندل الأبطال، وأشجع الخليقة طرّاً هو وأخوه رسول الله صلى الله عليه وآله، فاغتاله أشقى الأولين والآخرين.

ولطالما سمعنا في التاريخ أخبار الأبطال الذين صالوا وجالوا وحطّموا وهشّموا وقاتلوا فقُتلوا أو أُسروا، وقد حدّثنا التاريخ عن حالات أسرٍ وقعت في كربلاء لأبطال من صناديد معسكر التوحيد.

فليس في الأسر ـ بعد أن بذل الفارس جهده وأباد عسكر عدوّه ـ

بأس، ولكنّ العيب في الرضا بتعبير المؤرّخ «فأمكن من يده»، والعيب في أن يرضى المؤمن للمولى العظيم عليه السلام ما لا يرضاه لنفسه، ويستسيغ الأخبار التي تصوّره فريسةً قريبة المنال سهلة الوقوع في فخاخ الخدع والمكر والاحتيال، وفي المتون التاريخيّة القديمة مشاهد أخرى لا تخدش شيئاً من قداسة المولى الغريب عليه السلام، وتنسجم مع شخصيّته ومزاياه الوراثيّة والاكتسابيّة.

﴿ ١٦ ﴾

من يستمع إلى رجز المولى عليه السلام يجد رفضه للأمان جليّاً واضحاً لا يحتاج حتّى إلى أدنى تأمّل، بل يجد أنّ الرجز لم يكن إلّا ردّاً للأمان، وبالفعل فقد ارتجز به بعد أن عرض عليه الأمان، وقد صرّح في نقل **الخوارزمي** بذكر الأمان، وأنّه لا يقيم له قدراً:

«ولا أقيم للأمان قدرا أخاف أن أخدع أو أغرّا»

وأجمعت المصادر على رواية قوله: «أخاف أن أخدع أو أغرّا»، وأنّه أقسم أن يقتل حرّاً، وأنّه يريد أن يلقى حمامه تحت ظلال الأسنّة، ويرفض أمان الجبناء الغدرة.

* * * * *

لقد برز الفارس الطالبيّ والبطل الهاشميّ كليث يزأر في الميدان، يزمجر على الأعداء، وينقضّ عليهم كالصقر إذا جلّى ليختطف فريسته، فهو بركان علويّ حسينيّ عقيليّ تفجّر على الطغام الفجرة والحقراء الأراذل السفلة..

اندفع يقاتل، وقد ودّع سيّد الكونين في مكّة بعد أن ضرب له أجلاً وحدّ له موعداً وقال له:

«وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون

أنا وأنت في درجة الشهداء» (١).

وربما رأى المولى الغريب عليه السلام ملأ العين ـ وفق الإخبارات النبويّة والعلويّة والحسنيّة والحسينيّة، التي سمعها ووعاها ـ كلّ ما سيجري في كربلاء بكلّ تفاصيلها، فهو يرى مرّة بعد أخرى صوراً تترى ومشاهد تتحقّق بعد أيّام لم تكن طويلة.. يرى الأنصار وأهل البيت يتهاوون على الصعيد صرعى..

كأنّي به يرى المخيّم الذي تفرّقت أشلاء رجاله، وتناثرت على الصعيد، وترمّلت وجوههم «كأنّها الأقمار تسبح في غدير دماء»..

يرى غربة سيّد الشهداء عليه السلام وباقي النجوم الزواهر من بني عبد المطّلب.. ويستشعر بكبده الحرّى العطش الذي سيكظّهم جميعاً.. والظمأ الذي سيفتّ أحشاءهم..

يسمع صرخات النساء الثواكل.. وأنين الأطفال الذين شحبت وجوههم، وذبلت شفاههم من العطش، وهم لا يكادون يرفعون أصواتهم المبحوحة.. يريدون أن يصرخوا ليصحروا عن الشفار التي تمزّق أكبادهم ونيران الظمأ والسغب التي تشعل صدورهم وأحشاءهم.. غير أنّهم يجدون أصواتهم تتحشرج بين التراقي، وقد جفّت حناجرهم من

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ٣١/٥.

غبرة الحرب والبيداء.. ورمال الصحراء والرمضاء..

انطلق نحو القوم وهو يرى سرادق العزّ التي ستخيّم على الفواطم والمذاعير من النساء والأطفال..

تقدّم للنزال كأنّه في كربلاء، يقاتل بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام، ويقتل قتلة أصحابه وإخوته وذويه.. تقدّم ليأخذ الثأر منهم، لأنّه يعلم علم اليقين، وهو يرى ما سيقع بعد أيّام لم تكن بعيدة، إذ سيهجم العدوّ على الخيام، ويسلب أهله وحرمه، ويسوق بنات أمير المؤمنين وعياله وزوجته عليهم السلام سبايا على المطايا العجف يتنقّلون بهنّ بين أهل المناقل والمناهل، يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد والشريف والدنيّ..

كأنّي به يقاتل وهو ينظر إلى ابنته «عاتكة» تسحقها حوافر الخيل، وتطحن جناجنها وأضلاعها الرقيقة سنابك الأعوجيّة، ويسمعها وهي تئنّ وتتضوّر وتستغيث فلا تغاث..

فراح ينثر الموت عليهم نثراً.. ويذيقهم المنيّة نكالاً مرّاً..

برز مشمّراً.. مستعدّاً لمقارعة الأعداء، وتطهير الأرض من الذوات القذرة النكراء.. استنفر ملك الموت وأعوانه.. وجعلهم يحومون ويطوفون على شفرة سيفه.. استجاش الحماس عند مالك وزبانيته ليرسل إلى جهنّم حطباً وحصباً، فازدحمت الأرواح الخبيثة على أبواب جهنّم لا تدري من أين يأتيها الموت وتأخذها ملائكة العذاب.. نفير في

الكوفة يتبعه نفير في جهنّم!

إنّه مسلم بن عقيل عليه السلام يحصدهم حصداً، ويقضم بسيفه أنوف الجبابرة قضماً.. يسحق بحافر فرسه أصنام الشرك.. ويدمدم على الظالمين الأوغاد، ويزمجر ويزأر على دمى القرود المعلّقة بأعواد الشجرة الملعونة، وقد ترك الجرو الأمويّ ملتصقاً بجدران القصر رعديداً رعيشاً يقرض ذيله من شدّة الهول والفزع..

رفع صوته عليه السلام وشدّ بيده على مقبض مهنّده.. وهو يرتجز فيهم، فيخلع قلوبهم بصوته ورجزه.. ويزلزل الأرض تحت أقدامهم.. ويقلّب الأرض عليهم ويطبق السماء عليها فما لها من فروج، وليس لهم من مفرّ، ولات حين مناص من ورود حياض المنيّة المرّة المصبّرة التي ساقهم إليها المولى الغريب كالأغنام، أو الفرار حيث يأمن من يدّعي الشجاعة منهم من سطوات حملته..

زأر الليث الطالبيّ والشبل العقيليّ فيهم وهو يقول:

«أقسمت لا أقتل إلّا حرّا إنّي رأيت الموت شيئا نكرا»

إنّنا نستمع الآن إلى فرع من العترة النبويّة التي آتاها الله ما لم يؤت أحداً من العالمين.. إنّه مسلم بن عقيل عليه السلام العالم، وهو يعني ما يقول.. ويطرّز رجزه بكلمات لها وقعها وجرسها وإيقاعها الحربيّ، وإنذارها القتاليّ وعمقها العلميّ..

رجز امتاز بألفاظ سهلة، ومعاني جزلة، وصور بعيدة الغور، متعدّدة المشاهد.. تتدافع فيها الكلمات لترسم المعاني الصاعقة التي تصدم قلوب الأعداء فتمزّق شغافها لتفرّ من الصدور...

* * * * *

يمكن تلخيص الفهم الأقرب إلى التركيبة الهندسيّة في هذا البناء الشامخ المنيف من الصور والألفاظ المتدافعة في ساحة الحرب والجهاد بأن يقال:

إنّ صور مفارقة هذه الدنيا كثيرة إلّا أنّها تتناهى إلى عناوين كلّيّة محدودة، فهو:

إمّا أن يموت بالقتل حرّاً.

أو بالقتل غير حرّ.

أو يموت بأيّ صنف من صنوف الموت عدا القتل.

أمّا أن يقتل غير حرّ، فهذا أدون من أدنى صور الموت وهيئاته، وهو لا يكون في أهل البيت عليهم السلام أبداً.. فهو خارج عن مشاهد الرجز، لأنّه غير متصوّر.

تبقى المفاضلة بين الموت والقتل حرّاً.. وهو قد أقسم على أن يقتل حرّاً، وكشف عن علّة قسمه وسبب اختياره لهذا النمط من القتل.. فقال: «إنّي رأيت الموت شيئا نكرا».

بـ«إنّ» للتحقيق والتأكيد، «والياء»، والرؤية والوجدان الثابت المنكشف تماماً أمام الناظر إليه ...

رأى العارف المتيقّن مسلم عليه السلام شيئاً.. رأى الموت ووجده.. تحسّسه واستشعره، فعاينه وذاقه.. فلمّا ذاقه وجده منكراً مرّاً مقرفاً مقزّزاً تنفرّ منه الطباع السليمة، وتأنفه الهمم العالية، وتأباه الهامات الشامخة.. لمس الموت فعبّر عمّا وجد ورأى وذاق واستطعم..

فهذه صورة الموت عند المولى مسلم عليه السلام.. إنّه مرّ المذاق منكر.. لا يحتمل ولا يطاق.. لأنه حرّ.

فهو يقول: إذا كان الموت مرّ المذاق منكراً صعباً لا يستساغ، فلماذا أختاره، ولا أختار القتل حرّاً، لأنّ الأحرار يستذوقون القتل ويأنسون به ولا يكرهونه، بل تألفه أرواحهم الحرّة السامية المحلّقة العالية..

القتل في سبيل الحبيب الحسين عليه السلام.. الموت بين يدي الحسين عليه السلام عند المولى مسلم عليه السلام تماماً هو كما عند بقيّة أهل بيته وأصحابه، وتماماً كما عبّر عنه ابن عمّه القاسم عليه السلام: «أحلى من العسل» (١)..

فخيّر نفسه بين الموت غصّة مصبّرة مرّة يشرق بها الحرّ الكريم.. وبين القتل حرّاً بين يدي إمامه وحبيبه الحسين عليه السلام، وهو حلو أحلى

---

(١) انظر: الهداية الكبرى للخصيبي: ٢٠٤.

من العسل، وأمرئ من لبن الأمّ الحنون.. هنيء سائغ لورّاد حياض السعادة..

فكأنّه عليه السلام يقول: حينما «رأيت» وتحقّق لي أنّ الموت نكر ومرّ.. أقسمت إذن أن لاأقتل إلّاحرّاً، لأنّ القتل هو الموت اللذيذ الحلو الملائم لمذاق الأحرار..

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ الموت لايفوته المقيم، ولايعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولامحيص، من لم يقتل مات، وإنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش» (١).

وقال عليه السلام أيضاً:

«لتصبرنّ ـ يا أهل الكوفة ـ على قتال عدوّكم، أو ليسلّطنّ الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحقّ منهم فليعذّبنّكم، أفمن قتلة بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش، والله لموتة على الفراش أشدّ من ضربة ألف سيف» (٢)..

ويبدو أنّ خطاب المولى الغريب عليه السلام لم يكن مع نفسه، إذ هو

(١) بحار الأنوار: ٣٢ / ٦٠.

(٢) شرح النهج: ٢ / ١٩٥.

يخاطب الأعداء ويعظهم ويعرّض بهم.. كأنّه يقول لهم: ما لكم طبع الله على قلوبكم، أفلا تتفكّرون؟! أفلا ترعوون ..

إنّكم حشرتم أنفسكم في مضيق حرج، ووقفتم بين خيارين هابطين:

فإمّا أن تقتلوا بأسيافنا، وهي قتلة الأذلّاء الحقراء الخاسئين الذين تسقط رؤوسهم من أبدانهم فتتدحرج في وهاد جهنّم..

وإمّا أن تخرجوا من هذه الحرب فتموتوا، والموت على الفراش مرّ ثقيل عسير على أولياء الله، فكيف على أعدائه؟!

وهو يخاطبهم ليجيبهم على ما اقترحوه عليه من الأمان، فيقول لهم: إنّ غاية عاقبة أمانكم أن أعيش ـ على فرض السلامة ـ أيّاماً ثمّ أموت، وأنا لاأحبّ الموت على الفراش، وقد أمكنني الله من فرصة اللحاق بركب الشهادة الفاتح.

﴿ ١٧ ﴾

لقد صرّحت كتب التاريخ بجراحات المولى الغريب عليه السلام إجمالاً، وهي جراحات عظيمة، فقال **البلاذري والطبري**:

«فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمريّ ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأسرع في شفته السفلى فنصلت ثنيّتاه» (١)..

وقال **الدينوري**:

«فرُمي، فكُسِر فوه» (٢)..

وقال **ابن أعثم والسيّد ابن طاووس**:

«فطعن من ورائه طعنة، فسقط إلى الأرض» (٣)..

وقال **الطبري**:

«وقد أُثخن بالحجارة» (٤)..

---

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٣٩/٢، تاريخ الطبري: ٣٧٣/٥، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٨/٨.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٩٢/٥.

(٤) تاريخ الطبري: ٣٧٣/٥، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٨/٨، الإرشاد للمفيد: ٥٧/٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٥٠.

وقال **الطريحي والقندوزي**:

«وصار جلده كالقنفذ من كثرة النبل» (١).

إنّ هذه العبارات تتحدّث عن الجراحات العميقة الحاسمة التي أدّت إلى أن يهوي إلى الأرض، فهم يتكلّمون عن الحصيلة النهائية: «أُثخن بالحجارة»، و«صار جلده كالقنفذ من كثرة النبل».

أمّا عدد الحجارة التي أصابته فجرحته، وعدد النبال التي جعلته كالشجرة التي لا تحصى أغصانها، فهذا ما لم يحصه لنا الراوي، ولا يقدر على إحصائه.. «فهل سلِمَت فيه من جارحة؟!» (٢).

فالجراحات لم تكن في ناحيةٍ واحدة أو عضو واحد، بل كانت مستوعبةً لبدنه الشريف، وكان من بين جميع تلك الجراحات جُرحان نازفان عميقان، يستشعر القارئ للتاريخ أنّهما أجهدا المولى عليه السلام وصرعاه، وهما ضربة الأحمريّ والطعنة الأخيرة، وقد رأينا خسّة القوم ونذالتهم ولؤمهم، حتّى امتنعوا أن يسقوه ماءاً وهو يستسقي، وسلبوه سلاحه وفرسه وعمامته!!

فلا نشكّ ـ حسب معرفتنا بسلوكيّات القوم ـ أنّهم تركوا جرح المولى عليه السلام مفتوحاً نازفاً لم يطبَّب ولم يضمَّد، بل زادوا وضاعتهم

(١) المنتخب للطريحي: ٤٢٦/٢.

(٢) انظر: «مسلم بن عقيل الحرب الأخيرة».

وحقارتهم وجنايتهم لو كانوا قد أوثقوه كتافاً فمنعوه أن يضمّ جرحه بيده، أو يمسح الدموع والدماء الممتزجة عن وجهه حينما بكى سيّدَ الشهداء عليه السلام وأهله المقبلين!

فكم قاسى المولى الغريب عليه السلام من الدماء السائلات من فمه الشريف، وهو يلفظها لئلّا تنزل إلى جوفه؟

وكم عانى من شفته العليا التي قطعها السيف؟ وهل كانت معلَّقةً أو أنّها سقطت؟

وكم عانى من ثناياه وهي تتدلّى على شفته؟

وكم كان الكلام صعباً والتلفّظ عسيراً بعد هذه الفاجعة؟

وكم عانى المولى الوحيد عليه السلام من الطعنة التي مزّقت أحشاءه؟

من يستطيع أن يرسم للمولى الغريب عليه السلام صورةً في أعماق قلبه، فيرى وجهه المضمّخ بالدماء، ونورَه يشعّ من غرّته الوضاءة، وقد ألمّ به الجهد وأذبل عوده الظمأ.

عجب والله! بلد بضخامة الكوفة وسعتها وترامي أطرافها وكثافة سكّانها، تعجز أن تفرز في تلك الساعة من يدنو من هذا البطل الغريب عليه السلام، فيواسيه في نفسه، ويطبّب له جراحه ويشدّها؟! لا أن يقاتل دونه ويدفع عنه!

لك الله يا غريب كوفان! يا ليتنا كنّا معك.

﴿ ١٨ ﴾

ثمّ نقل المولى إلى القصر فدخل ليواجه الحقير النذل الذي لا يفارق أخلاقيّاته التي نشأ عليها في خيام الدعارة والبغاء ولا يفوته لؤم الغلبة..

دخل البطل الهاشميّ والليث الطالبيّ ولكن كيف دخل؟

بدنٌ مكدودٌ.. مزّقته الجراح، طرّزت له الدماء سرباليّاً، وانغرزت فيه النبال حتّى لكأنّه مقاديم النسور، وهشّمت فمه الحجارة ونصلت ثنيّتاه، غاصت الرماح في أحشائه، وانتهلت السيوف من أعضائه، فكرعت من دمه الذي جفّفه العطش، فصدرت رويّةً من ضربة ابن حمران وطعنة الغادر بعد أن ردّ عليهم الأمان..

أذبل الظمأ شفتيه، وفتّت كبده، وأيبس رأتيه، وامتلأ فوه دماً منعه من شرب الماء..

أحاطت به الأراذل والأوباش، واجتمعت عليه الغوغاء والأحابيش والسفلة، وصكّت مسامعه زعقات اللئام المردة..

حاصرته الأنظار التي زاغت من هول صولته وسطوته، والأبصار التي كفّها وغضّها واختطفها وميض سيفه وسرعة جولانه في المعركة.. غير أنّها الآن تجده مكبّلاً، فرمته بسهام لواحظ الشماتة الخائبة..

شماتة الجبناء، تسلّط الخونة، لؤم الغلبة.. وسطوة الرعديد جرحٌ لا يُطاق ألمه، بعد أن يكبّل الأسد لمّا أُثخن وتكاثرت عليه الضباع..

وليت الجَنان يعينه البيان ويؤازره اللسان، ويجتمع بنو الإنسان ليتمكّنوا من وصف جراحات الضيغم الهاشميّ والأسد الطالبيّ والليث العقيليّ وهو داخل قصر الطاغية ابن الأمة الفاجرة.. ليت!

لقد ذكرنا في غير موضع الجراحات التي أُصيب بها المولى الغريب عليه السلام، وقد اقتضب المؤرّخون الحديث عنها بعباراتٍ لو تأمّلناها قليلاً لعلمنا أن لا موضع في بدنه المقدّس لم يُدمِه عضّ السلاح..

فكم من حجارةٍ كدمته وأدمته؟

وكم من سهمٍ أصابه ومزّقه؟

وكم من رمح طعنه؟

وكم من سيفٍ ضربه وهشّمه؟

وكم من حزمة قصب مشتعلة جرحته وأحرقته؟

هذا سوى ضربة ابن حمران والحجر الذي كسر فاه، وطعنة الغادر التي صرعته..

وسوى العطش.. والشماتة والنظر إلى دعيّ مكّنته السقيفة على سليل إبراهيم الخليل عليه السلام!

العجيب! الذي يبهر العقول، ويهزّ كيان الغيور، ويدعو للفخر والمباهاة، ويحيّر ذوي الألباب، ويترك المتابع أيّاً كان في ذهول، أن يقف سفيرُ سيّد الشهداء عليه السلام بعد كلّ ذلك ليذبّ ويدافع وينافح ويكافح

ويصول بلسانه العقيليّ الحادّ المصاول، ويخوض حرباً كلاميّة بلسانه الذي جفّفه العطش وضرّجته الدماء..

فمه مكسور.. شفته مقطوعة.. ثناياه ناصلة.. لسانه مخضَّب.. والعطش.. العطش؛ يكاد يلصق لسانه بلهاته.. فكيف كان الهزبر الظامئ المجروح يتكلّم؟!

ما ضعف البدن عمّا قويت عليه العزيمة.. إنّه حفيد أبي طالب، وابن عقيل، وابن أخي سيّد الوصيّين وأمير المؤمنين عليه السلام، وأخو سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان ثابت الجَنان، صلب الإيمان، نافذ البصيرة، قويّ اليقين، راسخ القدم، على بصيرةٍ من أمره، ثاقب النظر، بعيد الغور، سليم الطويّة، عظيم المناقب، عالي المراتب، يطلّ من سامق مقامه، ويشرف من سامي منزلته، نجيب المحتد، أصيل النسب، رفيع الحسب، تقوم به همّتُه، وتسانده غزير معرفته التي لاتقوى العقول غير المعصومة على حصر سعتها، ولاترى لبحار علومه شاطئاً، ولاتسبر لها عمقاً..

إنّه مسلم بن عقيل عليهما السلام، سفير الحسين عليه السلام.. لايقف إلّاكما يقف سيّده ومشرّفه بهذه المهمّة، فهو يعرف الحسين عليه السلام كما يليق بمثل مسلمٍ عليه السلام أن يعرفه..

لئن أجهد العطشُ والجراح والشماتة بدنَه، فقلبه طوع

الحسين عليه السلام.. كزبر الحديد على أعدائه، بل أشدّ وأعظم تماسكاً وأقوى وأصلب، لا يضعفه نزف الجراح، ولا يكلّ ولا يملّ عن مقارعة أعداء الله وأعداء سيّد الشهداء عليه السلام، ولا تزلزله القواصف، ولا تحرّكه العواصف، ولا تخور له قوّة، ولا تلين له صلابة، ولا يخيفه في الله لومة لائم..

إنّه قلب مسلم بن عقيل عليهما السلام.. المفعَم بحبّ الحسين عليه السلام، المتوهّج بنور مصباح الهدى، المتألّق بمعرفة الله، المتعلّق بالرفيق الأعلى..

إنّه مسلم بن عقيل عليهما السلام.. النجيب الذي وُلد من نكاح لا من سفاح في طول تاريخ شجرته التي نبتت في الحرم وبسقت بالجود والعطاء والكرم، وأضاءت الدنيا بأنوار غرر آبائه منذ أشرقت وأطلّت على دياجير الجاهليّة، فكشفت عورات الأدعياء وأبناء الأدعياء.. إنّه ابن الزواكي الطاهرات، وابن الأنبياء، وسليل النجباء..

أوَليس للقارئ أن يعجب كيف كان هذا البطل المكلوم، والغريب المهموم، والعزيز الذي وقع بين براثن أولاد البغايا أسيراً، وهو يعاني من كلّ تلكم الجراحات.. كيف كان يستطيع الجواب، ويردّ على مَن افترى عليه وتعرّض لساحة قدس مولاه؟!

هل يكون ذلك إلّا من رجال سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، ومن أبناء أبي طالب عليه السلام، ومن اختارهم الله على علمٍ ليكونوا لمثل هذه المواقف؟! وعندها ينطلق اللسان كأمضى سلاح، وتنطق الجراح.. ولا

يبالي القلب بما يعتري البدن، ولا يكلّ اللسان من هول المصاب وعمق القرح!

إنّ الجرذ الخائر أراد أن يشمت بالمولى الغريب عليه السلام وظنّها تمرّ وأنّ المولى عليه السلام يواجه القتل.. وكأنّه نسي رجَز المولى عليه السلام وقسمه أن لا يُقتَل إلّا حرّاً، وأنّ القتل في محبّة الحسين عليه السلام وعدٌ ينتظره غريب كوفان، وأنّه عنده أحلى من العسل..

وأُقسم بالله يميناً برّةً أنّ سكينة المولى مسلم بن عقيل عليهما السلام واطمئنانه وثباته وصلابته في محبّة الحسين يعزّ لها النظير، وتذهل العاقل اللبيب.. إذ لم يفوّت للدعيّ كلمة إلّا ردّها بالفور ردّاً قاصماً مزلزلاً مدمّراً مهلكاً شامخاً بالفخر والتعالي على الأراذل بالتحقير والإهانة والإذلال لهم.

إنّه الإباء الطالبيّ.. ردّ به حفيد أبي طالب وسليل إبراهيم الخليل عليه السلام على كلّ كلمةٍ تجرّأ بها عدوُّه ابن زياد ولم يترك له حرفاً واحداً دون ردّ..

ثمّ إنّ المولى أوصى وصاياه، التي اقتضاها الموقف، وكان أهمّ وصيّة كانت عنده، إذ كان لازال يمارس مهامّه المكلّف بها من قبل سيّد الشهداء عليه السلام، فأمر عمر بن سعد أن يرسل من ينقل خبر خذلان الناس وما جرى عليه إلى سيّد الشهداء عليه السلام.

﴿ ١٩ ﴾

ثمّ إنّ اللعين أمر أن يصعدوا به إلى أعلى القصر ليقتل ويرمى جثمانه المقدّس إلى الناس، وكان الخبيث قد توعّد أن يقتله قتلة لم يقتل أحد قبله بها في الإسلام، فصعدوا به وهو يسبّح الله ويكبّره ويصلّي على محمّد وآل محمّد.

لقد كان المولى الغريب عليه السلام قد أذبل العطش بدنه، وجفّف عروقه، وفتّت كبده، وقد أثخنته الجراح، وجسمه ينزف دماً من هامته حتّى قدميه، ورغم ذلك لم يتمكّن الرجس الخبيث من قتله بضربةٍ واحدة.. فما أصلب البطل الهاشميّ وأقواه، وما أضعف القاتل الذي أقدم على أسدٍ مكتوفٍ جريح نازف إقدامَ الجبان الرعديد المرتجف الخائف الخائر القوى العاجز عن التركيز، أقدم ساهم الفكر، مشتّت القلب، مرتعش اليد.. ولازال سيف الحسين عليه السلام الممشوق واقفاً متماسكاً صلباً مستجمع القوى، يصدّ الضربة بعنقه وينفّر السيف بجلده!

﴿ ٢٠ ﴾

ما أعظمك يا سيّدي وحبيبي ومولاي مسلم! ما أعظمك! ما أعظم عزيمتك وثباتك وسكينتك ووقارك ورباطة جأشك؟! ما أعظم إباءك؟! ما أسمى شموخك وأسمق قمّتك!

إنّه مسلم بن عقيل عليهما السلام! يتعامل بهذا الهدوء والسكينة والوقار.. ضربه العبد ضربةً كان يظنّ أنّه سيقتل بها مسلماً عليه السلام ويفصل بها رأسه عن جسده.. يلزم إنّه قد وضع فيها كلّ قوّته، وجمع فيها شتات نفسه.. والمولى مسلم عليه السلام يسمّيها: «خدشاً»! والخدش هو تفرّق في الجلد أو الظفر أو مزق في الجلد وإن لم يُدمِ (١)، يعني أقلّ ما يسمّى جرحاً!

في ساعة الموت يهجم الضرغام الجريح على عدوّه فيهزمه ويفرغ قلبه وينخر أعماقه، يحتقره ويهينه ويذلّه، ويتركه جذعاً منخوباً خاوياً متهرّءاً..

ويبدو من سياق الأحداث أنّ ابن زياد كان لازال خائفاً من ظلّ البطل الطالبيّ عليه السلام، حيث سأل القاتل: «قتلتَه» (٢)؟ وفي لفظ **ابن أعثم** حينما رآه مدهوشاً: «ما شأنك؟ أقتلتَه؟» (٣).

---

(١) أُنظر: مجمع البحرين ولسان العرب: مادّة «خدش».

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٨.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٣.

يريد أن يتأكّد ليطمئنّ أنّ الصاعقة النازلة عليه من سماء الحسين عليه السلام قد سكنت.. إنّه يعيش رعباً يمزّق الكيان، وخوفاً يخرس المنطيق عن الكلام، وتهديداً يلاحقه في اليقظة والمنام، ودوّامةً تُغرِقه كلّ لحظةٍ في ألف كابوس..

اسمه يقضّ عليه مضجعه، وبريق سيفه يزعزع وجوده، ولسعات لسانه تختطف لُبّه.. فهو يعيش منذ أن دخل الكوفة مرتعشاً مرتجفاً، لائذاً بأغصان الشجرة الملعونة التي ما لها من قرار، لا يدري ماذا يخبّئ له البطل الهاشميّ عليه السلام من مفاجأة، وهو يعرف شجاعة آل أبي طالب عليهم السلام، ويعلم جيّداً أنّ مسلماً عليه السلام كفوءٌ لكلّ صناديده، يقاتلهم وحده ولا يخشى في الله لومة لائم، وقد أثبتت الأحداث ذلك، وتابع الخبيث بنفسه مجريات الحرب الأخيرة، وذاق الذلّ والهوان التي جرعها إيّاه البطل الهاشميّ مسلم عليه السلام في مناظرته معه..

يريد أن يطمئنّ أنّه قُتل! يريد أن يسكن خوفه ويهدأ روعه، ويستريح قليلاً إذا علم أنّ التهديد الصاعق الذي كان يلاحقه قد قضى نحبه! وأنّ الشجى الذي قد اعترضه والقذى الذي أعمى عينه قد مضى! وغفل أنّه بقي يلاحقه بدعائه:

«اللّهمّ احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرّونا وخذلونا وقتلونا».

﴿ ٢١ ﴾

ثم إنّهم قتلوه ورموا برأسه وجثمانه المقدّس من أعلى القصر إلى الناس، وذكر **الطريحي** مستنداً على **المقتل (المشهور) لأبي مخنف** ــ ظاهراً ـ صورة مروّعة أُخرى، «أن يُصعَد به إلى أعلى القصر ويُرمى منه منكّساً على رأسه»، وهذه العبارة تفيد أن يكون القتل بالإلقاء من شاهق حيّاً منكّساً على رأسه ليستقبل به الأرض!!

صورة تصدع الفؤاد، وتسلب القرار، وتمزّق الأحشاء، وتدعو المحبّ للجزع وقلّة التصبّر ورقّة التجلّد.. أن يُرمى وهو حيٌّ من أعلى القصر إلى الأرض ليرتطم رأسه المقدّس، وتتهشّم عظامه، وتتقطّع أعضاؤه المثخنة بالجراح!! يا لله! يا لهول المنظر وبشاعة الفعل.. وا حبيباه! وا مسلماه! وا مظلوماه! وا غريباه!

وبالرغم من تفرّد **المقتل (المشهور)** و**الطريحي** بنقل هذه الصورة ــ حسب فحصنا ـ، واشتهار ما في المصادر المذكورة قديماً وحديثاً، فإنّ هذه القتلة أقرب إلى التهديد الذي أطلقه ابن الأمة الفاجرة حينما كان واقفاً بين يدَي المولى الغريب عليه السلام، إذ هدّد أنّه سيقتله قتلةً لم يُقتَل بها أحدٌ في الإسلام، أو أنّه سيقتله شرّ قتلة!

وربّما يؤيّده أيضاً ما ورد في كيفيّة شهادة سفراء سيّد الشهداء عليه السلام

الآخرين؛ قيس بن مسهرالصيداويّ [١]، وعبد الله بن يقطر[٢]، حيث ورد فيهما أنّهما أُلقيا من أعلى القصرحيَّين.

---

(١) أُنظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩٨، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٥٢، البداية والنهاية لابن كثير: ١٦٨/٨.

(٢) أُنظر: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٢٨.

﴿ ٢٢ ﴾

ثمّ أمر اللعين بهانئ رضي الله عنه فقُتل، وصلبت جثّتيهما منكّستين في الكناسة أو في سوق الكوفة والمتبادر من العبارة أنّهم صلبوه معلّقاً من قدميه الشريفتين وكان عنقه ويديه إلى الأرض! وكان أوّل هاشميّ يصلب! (١)

إنّا لله وإنّا إليه راجعون! أيبلغ الانحطاط والتردّي إلى هذا الحدّ بمخلوقاتٍ عجّت الأرض وضجّت السماء من جرائمهم وتفنّنهم بالتنكيل بأولياء الله؟!

واللهِ إنّ البيان لَعاجز، والبنان منكمش، والعيون عبرى، والقلوب حرّى، والأكباد محترقة لهذه الصورة المروّعة والتنكيل المهول والاعتداء الوقح، فماذا يقول القائل سوى أن يجري دمعه الهطول ويسلّم أمره لله، ولاحول ولاقوّة إلّا به.. وسيأتي اليوم الذي يصلب فيه المنتقم الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف أعداء عترته وأهل بيته والظالمين لهم، ويأخذ بثأر المظلوم الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وستشرق شمسه عمّا قريب إن شاء الله، ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟!

---

١ انظر: مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٩، تذكرة خواصّ الأُمّة لسبط ابن الجوزي: ٢١٩.

﴿ ٢٣ ﴾

«ثمّ أخذوا يجرّونهما في الأسواق في الكوفة بأرجلهما».. (١).

إنّه مشهدٌ بشع، مروّع، مهول، يصدّع الفؤاد ويهدّ القلوب، ويستحقّ أن تجري له من الآماق بدل الدموع دماً.. أيُفعَل هذا بالعترة الطيّبة؟!! حقَّ لرسول الله ﷺ أن تجري دموعه على مسلم عليه السلام حتّى تبلّ لحيته الكريمة وجرت على صدره، ويشكو إلى الله ما ستلقى عترته من بعده، كما في خبر **الأمالي للصدوق** (٢)..

جثمانٌ مقطَّعٌ آراباً قبل أن يُقتَل، مزّقته الجراح، وسالت منه الدماء كالفوّارة من كلّ أنحائه، أذبله العطش، وغسّلته دماء النحر، مهشَّم العظام من أثر الارتطام بالأرض حين رُمي من أعلى القصر.. وهم مع ذلك يشدّون الحبال برجليه ورجلي الشيخ الكبير هاني بن عروة، ويجرّونه في السوق.. يسحلونه على الأرض.. الأرض الوعرة.. فيها التراب والرمل والحصى والشوك، الناتئة في موضع والمنخفضة في آخر، تغطّيها الأحجار أحياناً ومخلّفات المارّة والسوق أحياناً أُخرى.. وفي خشونة الأرض وقساوة التراب كفاية إذا بردت جسماً لطيفاً وبدناً منهكاً

---

(١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٧، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٣.

٢ انظر: الأمالي للصدوق: ١٩١ مج٢٧ ح٢٠٠.

وقشرت جلده فأبدت اللحمَ الممزَّق..

إنّهم شدّوا الحبال برجليه! لأنّ رأسه مقطوع! وسحلوه منكّساً أيضاً.. جرّوه في السوق على مرأى ومسمع من هذه الأُمّة المنكوسة المتعوسة المتخاذلة البائسة، التي أخلدت إلى القاع اللزج، والتصقت بصمغ الشجرة الملعونة العفن..

ما أبشعه من منظر! ما أعظمها من مصيبة.. جثّة مقدّسة يعلوها نور العترة النبويّة، وتحيط بها هالة القدس الإيمانيّة، وتحفّها هيبة رجال آل أبي طالب عليهم السلام في سيماء الفرسان والشجعان والأبطال.. تجرّ في الأسواق.. فيتناثر اللحم المخدّد من أثر الاحتكاك بالأرض القاسية والتراب الخشن والحجارة وغيرها من الأشياء الحادّة، وتبقى آثار الدم السائل بهدوء وصمت خيوطاً تنسحب وراءها وترسم تفاصيل عار آل زياد وبني أُميّة ومن سلّطهم وشنارها إلى أبد الآبدين.. فلعنة الله عليهم لعناً يغدو أوّله ولا يروح آخره..

ليت كان ثمّة مَن يتبع الجثمان المقدّس وهو يُسحَل على الأرض، ليلتقط نثار الجلد واللحم المتشظّي منه ويجمعه ويدفنه..

جلّت حكمة أبي الشهداء عليه السلام وسيّدهم، إذ أرسل مسلماً عليه السلام وحده إلى الكوفة، فلم يصحب معه أحداً من أهله وعياله.. فماذا لو كانت بنت أمير المؤمنين وزوجه رقيّة وأولاده وبنتاه حميدة وعاتكة قد

حضروا المشهد هذا؟!!

أيريد ابن الأمة الفاجرة الدعيّ ابن الدعيّ أن ينكّل بالبطل الهاشميّ عليه السلام بهذه الفعلة المستنكرة؟! إنّه ينكّل بالجثمان المقدّس حسب ظنّه، وأنّى له ذلك؟! وقد أشبعه المولى عليه السلام إذلالاً وتنكيلاً وتحقيراً، وعرّاه وفضحه ودمّره تدميراً، ويأبى الله إلّا أن يرفع مَن يشاء ويضع مَن يشاء، فلا رافع لمن وضع ولا واضع لمن رفع الله..

وما جرى على مسلم بن عقيل عليه السلام في محبّة الحسين عليه السلام حبيب الله كان رفعةً وتسامياً في الدرجات، فقد نالها فوزاً عظيماً خاصّاً به، وتركها فخراً لكلّ الشيعة إلى يوم القيامة.. وقد أصحر الوحش الأمويّ عن كوامنه مع سيّد الشهداء عليه السلام أيضاً يوم أمر برضّ جسد الحسين عليه السلام وصحبه بعد قتلهم في كربلاء!

ولا نقول إلّا ما قال سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام، الذي عجبت من صبره ملائكة السماء! حينما سمع خبر مقتل أخيه وابن عمّه وجرّهما بالأسواق: ﴿**إنّا لله وإنّا إليه راجعون**﴾!

﴿ ٢٤ ﴾

وفي «زرود» بلغ خبر شهادة مسلم وشدِّ الحبال برجله وجرِّه في السوق لركب سيّد الشهداء عليه السلام، كما ذكر **الدينوري والمفيد** (١) وغيرهما.. هكذا شاء الإمام أن يُخبر بما يسمع لا بما يرى ويعلم بمقتضيات الإمامة.. «فارتجّ الموضع بالبكاء والعويل، وسالت الدموع كلّ مسيل» (٢)..

إنّه خبرٌ مفجع.. قتل مسلم عليه السلام.. ويزيد اللوعة ويُذكي المصاب ويحرق الفؤاد أن يقترن خبر الشهادة بخبر ربط رجلَيه بحبل وجرّه في السوق، بسحل جلده عن لحمه ببرده بالتراب، بشماتة الأعداء!

وهو أوّل شهيدٍ من آل أبي طالب بين يدَي الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، أو خبرٍ مفجع يبلغ بنات أمير المؤمنين عليه السلام.. أوّل يُتمٍ يدخل على ركب الحسين عليه السلام.. بدت مصائب كربلاء تلوح في أفق ركب المنايا.. فجيعة لا كالفجائع، ومصيبة فيها أحزان كربلاء، وقارحة فادحة كاظّة فيها سمات الطفّ.. يُقتَل شرّ قتلة لم يُقتَل أحدٌ في الإسلام مثلها، ثمّ يجرّ بالحبال في السوق!!

---

١ انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٧، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٣.

٢ انظر: اللهوف لابن طاووس: ٤٥.

أيّ هولٍ ونياحةٍ قامت في سرادق الرسالة وخيام الخدر العلويّ في الركب الحسينيّ؟! كيف تلقّت الخبر بنات أمير المؤمنين عليه السلام، بنات مسلم ابن عقيل، أولاد مسلم بن عقيل، إخوة مسلم وآل عقيل، بقيّة الطالبيّين؟!

ساعد الله قلب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقد استرجع ـ بأبي هو وأُمّي ـ وسالت دموعه كسيلان دموع جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله على أخيه مسلم بن عقيل..

﴿ ٢٥ ﴾

ثم إنّ اللعين عُبيد القرود ابن الأمة الفاجرة بعث برأسي المولى الغريب عليه السلام وناصره هاني بن عروة وآخرين إلى يزيد الخمور والفجور، فأكرم الأخير مثوى الرسولين وقرّبهما وأعطاهما الجائزة وأمر نغلهم ابن زياد بالاهتمام بهما (١).

وكان رأس المولى الغريب أول رأس هاشميّ يُحمل (٢)، وقد حاز البطل الهاشميّ سابقة الفخر هذه ونال الرتبة السامية، وواسى سيّده

---

(١) انظر: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات: ٦٧، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٢، الفتوح لابن أعثم: ١٠٥/٥ وما بعدها. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٨٠، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٩. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣٢١، نفَس المهموم للقمّي: ١٢٠. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٥. إعلام الورى للطبرسي: ٢٢٩. تجارب الأُمم لمسكويه: ٢ / ٥٣. الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٦، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٩. الثقات لابن حبّان: ٢ / ٣٠٩. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٧٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٧٠. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٥، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٣. مثير الأحزان لابن نما: ١٨. تذكرة خواصّ الأُمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩ و١٤٠. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧. الصواعق المحرقة لابن حجر: ١١٧.

(٢) انظر: مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٩. تذكرة خواصّ الأُمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩ و١٤٠، نفس المهموم للقمّي: ١٢٠.

سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام وصحبه وأهل بيته، ورافقهم في بقيّة الطريق من الشام.

* * * * *

لقد فرح الطاغية المخمور والقرد المجدور، وأمر بنصب الرأسين المقدّسين على باب دمشق، كما نصب رأس سيّد الشهداء عليه السلام وأصحابه الأبرار الأوفياء، وما أشوق مسلم بن عقيل لرؤية وجه الحسين عليه السلام! وقد التقيا..

مهمّة مسلم عليه السلام

إنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام قد قام بمهمّة السفارة على أحسن وجه، وأكمل ما يمكن لأنجح القادة في تاريخ البشريّة أن يقوموا به، فبالغ في النصحية، وأعطى غاية المجهود، ولم يهن، ولم ينكل، ومضى على بصيرة من أمره، مقتدياً بالصالحين، ومتّبعاً للنبيّين، فَجَزَاه الله أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وَأَكْثَرَ الْجَزَاءِ، وَأَوْفَرَ جَزَاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفَى بِبَيْعَتِهِ، وَاسْتَجَابَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَأَطَاعَ وُلاةَ أَمْرِهِ.

* * * * *

إنّ البطل الهاشميّ وكبير آل عقيل «مسلماً» عليه السلام لم تكن «مهمّته الأساسيّة هي الثورة بأهل الكوفة ضدّ السلطة المحلّيّة الأمويّة فيها

والتمهيد للقضاء على الحكم الأمويّ كلّه» (١).

ولم يكن مكلّفاً بذلك من قبل سيّد الشهداء عليه السلام بإجماع المؤرّخين وما وصل إلينا من نصوص (٢).

ولم يكن لمسلم عليه السلام في الكوفة «ثورة» حتّى يعبّر عنها أنّها «فشلت» كما عبّر بعض الكتّاب والمحقّقين المتأخّرين.

* * * * *

وقد تبيّن لنا مدى دقّة العالم الفقيه الأمين، وثقة سيّد شباب أهل الجنّة مسلم بن عقيل عليهما السلام في أداء مهمّته، وتنفيذ ما شرّفه به ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله من تكاليف ومسؤوليّات.

فإنّه قد أدّى مهمّته، ووفى، وقام بما أنيط به أحسن قيام، ولم يهن، ولم ينكل، وإنّما مضى على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين.

وقد كان مكلّفاً أن يقيّم الوضع، وينظر حال الناس، وما هم عليه من المواقف الموالية لأبي عبد الله عليه السلام حسب ما يظهره الناس من التودّد والاستعداد، لا حسب واقع الأمور، لأنّه والإمام عليهما السلام كانا يعرفان تماماً بما ستؤول إليه عاقبة المنكوسين.

وقد أتمّ ذلك ووفى، وقام به أحسن قيام، حيث نقل الصورة التي

(١) انظر: مع الركب الحسيني: ٢/ ٤٥.

(٢) أتينا على ذكرها مفصّلاً في بحث «ثائر أم سفير».

شاهدها بعينه، وصوّر الحالة التي عاشها بنفسه، ورسم ما لمسه فيهم من الهيجان والغليان والاستعداد لنصرة سيّد الشهداء عليه السلام، وكتب بذلك إلى الحسين عليه السلام بعبارات واضحة صريحة دقيقة مختصرة.

ولم يقتصر المولى الغريب عليه السلام الأمين على ما شاهده منهم في بداية أمرهم، وإنّما استمرّ يؤدّي الرسالة ويقوم بالواجب وينفّذ المهمّة في المشاهدات اللاحقة «والرائد لايكذب أهله».

فحينما خذله الناس، وخذلوا إمامهم عليه السلام، ونكثوا بيعتهم، وضيّعوا حظّهم كتب مسلم بن عقيل عليهما السلام الثقة الأمين بذلك إلى سيّد الشهداء عليه السلام، وأوصل خبره من خلال الرسل، أو الكتب التي كتبها بيد عبد الله بن يقطر، أو عن طريق ابن الأشعث عند الأسر، فدعا محمّد بن الأشعث إياس بن العبّاس الطائيّ من بني مالك بن ثمامة ـ وكان شاعراً ـ فقال له: اذهب فألق حسيناً، فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره به ابن عقيل، ثمّ أعطاه راحلة وتكفّل له بالقيام بأهله وداره.

فخرج حتّى لقي الحسين بزبالة، لأربع ليال من الكوفة، فأخبره الخبر، وأبلغه الرسالة.

فقال الحسين عليه السلام:

«كلّ ما قدّر نازل، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد

أمّتنا» (١) ...

أو عن طريق عمربن سعد حينما أوصى في مجلس ابن زياد في خبر طويل، قال:

«... وابعث إلى الحسين من يردّه، فإنّي قد كتبت إليه أعلمه أنّ الناس معه، ولاأراه إلّامقبلاً» (٢)..

وكان من مهامّه أخذ البيعة من أهل الكوفة لسيّد الشهداء عليه السلام، بناءاً على ما نصتّ عليه بعض المصادركتصريح للمؤرّخ، لاكمهمّة منصوص عليها في كلام سيّد الشهداء عليه السلام أوكتبه.

وقد قام بذلك أحسن قيام، فأخذ البيعة من تلك الأعداد الكبيرة من الناس.

وإن كان قد أرسل للإعداد لقيام سيّد الشهداء عليه السلام، وتعبئة

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٥٩/٢، تاريخ الطبري: ٢٨١/٤، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٨/٨، تجارب الأمم: ٥٣/٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣٣/٤، مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج: ١٠٧، اعلام الورى: ٤٤٣/١.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٨١/٢، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٧/٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣٤/٤، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٠٨، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٠/٢، تاريخ الطبري: تاريخ الطبري: ٢٨٢/٤، روضة الواعظين للفتّال: ١٧٧، الإرشاد للمفيد: ٦١/٢، مثيرالأحزان: ٢٥ ... وقد أتينا على تفصيل هذه الإبلاغات في محلّها.

النفوس ورصّ الصفوف لاستقبال ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله، والدفاع عنه، ومحاربة آل أبي سفيان، وتخذيل الناس عن أعداء الله، كما ورد في نصّ ابن أعثم.

فقد قام كبير ولد عقيل عليهم السلام بذلك أحسن قيام، حتّى أرعب الطاغية، وجعل القرد الأمويّ يقرض ذيله قلقاً ويهتزّ ويرتعش هلعاً على أغصان الشجرة الملعونة.

وقد جمع الناس خير جمع، وأعدّهم أفضل إعداد، فكانوا في حالة إنذار واستعداد بحيث لو كان الحسين عليه السلام يدخل الكوفة ـ يومها ـ لما احتاج سيّد الشهداء عليه السلام إلى تعبئة واستقطاب، ويكفي أن ينادي مسلم عليه السلام بشعاره: «يا منصور» لتجتمع السيوف حول أبي عبد الله عليه السلام.

وقد اعترف العدوّ بذلك «فكتب مسلم بن سعيد الحضرميّ وعمارة ابن عقبة ـ وكانا عيني يزيد بن معاوية ـ إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم ابن عقيل الكوفة داعياً للحسين بن علي، وأنّه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك» (١) ...

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٣١.

* * * * *

أمّا «السيطرة على القصر»! و«الثورة»! و«الاستيلاء على الكوفة»! و«إسقاط حكم وإقامة حكم»! فلم تكن من مهمّته ولا من همّه، فلا يمكن أن يقال:

إنّ ثورته فشلت! لأنّه لم يؤمر بالقيام بـ«ثورة»، ولم يسع إلى ذلك، فكيف يوصف بالفشل في شيء لم يفعله؟!

وثمّة مفارقة واضحة في اتّخاذ الموقف واستعمال هذا التعبير، في مقام التقييم، وذلك أنّ الظروف التي مرّت بكبير آل عقيل عليه السلام تشبه تماماً الظروف التي مرّت بسيّد الشهداء عليه السلام، وجرى عليه ما جرى على مولاه، من مبايعة القوم وخذلانهم ونكوصهم وانقلابهم على أعقابهم، ثمّ استفرادهم به، ثمّ قتله عطشاناً غريباً وحيداً مخذولاً... على أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد بلغه كلّ ما جرى على أخيه وثقته مسلم بن عقيل عليهما السلام!!! فربما تفاجأ المولى الغريب عليه السلام بخذلان القوم ونكوصهم ـ كما يزعمون ـ أمّا سيّد الشهداء عليه السلام فقد أقدم وهو عالم بخذلانهم وانقلابهم!

فلماذا يستعمل هذا المصطلح القاسي في حقّ «ثورة مسلم عليه السلام»، ولم يستعمل في «ثورة الحسين عليه السلام»؟

والحال أنّ «الثورة» نفس «الثورة»! والحركة نفس الحركة! والقيام

نفس القيام! والعدوّ نفس العدوّ! والظروف والمواقف والأهداف والأغراض والنهاية هي نفسها في «الثورتين»! والقداسة والرفعة متوفّرة في المشهدين مع ملاحظة الفوارق!

فلو أنّنا سلّمنا أنّ مسلم بن عقيل عليهما السلام كان مكلّفاً بالقيام و«الثورة»، وآلت الأمور إلى ما آلت إليه، فالمفروض أن نتعامل ـ على أقلّ التقادير ـ مع «ثورته» كما نتعامل مع «ثورة الحسين عليه السلام»! باعتبارها خطوة في تلك الحركة ليس إلّا.

وقد أجمع المؤمنون أنّ قيام الحسين عليه السلام قد حقّق أغراضه كاملة إلّا ما بقي في كتابه الذي نزل به جبرئيل عليه السلام ـ كما في الحديث ـ وهذا ما سيتحقّق في القريب العاجل إن شاء الله تعالى بعد قيام المنقذ الأعظم الآخذ بالثأر...

وكذلك مسلم بن عقيل عليهما السلام بالرغم ممّا جرى له وعليه من الخذلان والغربة وتفرّق الناس عنه، وأخيراً الشهادة، فإنّه لم يفشل أبداً، وإنّما حقّق غرضه من قيامه و«ثورته»!! ولنتأمّل ذلك ونبحث عن إثباتاته، كما نفهم قيام الحسين عليه السلام تماماً.

هذا كلّه على فرض ثبوت أنّه كان مكلّفاً بـ«الثورة»، وقد قام بها بالفعل! وليس الأمر كذلك!

لأنّه لم يخطّط لذلك ولم يقصده، ولم يكلّف به!

ولا يقال: إنّه دعا الناس للثورة وإسقاط الحكم الأمويّ في الكوفة رغم عدم استكمال العدّة والإعداد.

ولا يقال: إنّه «فشل!» في تمهيد الكوفة لدخول سيّد الشهداء عليه السلام بطرد الجرو الأمويّ!

لأنّ ذلك كلّه لم يكن من دائرة اهتمامه ومهمّته.

وإنّما يقال: إنّه كان سفيراً في مهمّة خاصّة أنجزها على أكمل وجه ونجح في القيام بها نجاحاً فاتحاً، وأدّى ما كلّف به بدقّة والتزام وحزم وإقدام، ولم يفشل، ولم يتردّد، ولم يخطئ، ولم يتشاءم، ولم يضعف، ولم يهن، ولم ينكل، ولم يستعجل، ولم يستسلم، وإنّما مضى على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين ومتّبعاً للنبيّين حتّى نال الشهادة في محبّة ابن رسول الله وحبيبه وحبيب العالمين وقرّة عين سيّد الوصيّين ودمعة وشهقة وآهة فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين.. إمامه وإمام الثقلين سيّد الشهداء الحسين عليه السلام.

* * * * *

في الختام:

الحمد لله ربّ العالمين أن قضيت زهاء ستّ سنين بل أكثر مع

سيّدي ومولاي سفير الحسين عليه السلام المولى الغريب مسلم بن عقيل من خلال بحوث هذه المجموعة، وقد عشت ألطافه وعطاءه وفضله وجوده وكرمه خلال فترة حركته من مكّة المكرّمة إلى حين شهادته صلوات الله عليه، وأرجو من الله أن لا يحرمني ملازمة ركابه وأن لا يفرّق بيني وبينه في الدنيا والآخرة، ويتقبل منّا هذا القليل، ويجعله ذخراً لي ولوالديّ وأزواجي وذرّيّاتي إلى يوم القيامة، إنّه سميع الدعاء.

وقد عانيت كثيراً في بداية العمل في جمع موادّ البحث وترتيبها بيد أنّي عثرت فيما بعد على كنز وفّر عليّ الكثير من الجهد والوقت من خلال كتاب «**تاريخ إمام حسين ـ موسوعة الإمام الحسين عليه السلام**»، وهو جهد مبارك قام به مجموعة من المحقّقين والأعلام المثابرين وتولّى طبعه «**مكتب طباعة الكتب التعليميّة المساعدة**» التابع لوزارة التعليم والتربية في إيران، فللّه درّهم وعلى الله وسيّد الشهداء أجرهم، فإنّه جهد نافع مبارك مشكور.

ولقد اعتمدت عليه لتجميع بطاقات البحث، بيد إنّي راجعت النصوص في مصادرها زيادة في الاحتياط وللتأكّد من دقّتها ولملاحظة ما يسبقها وما يلحقها للتأكّد من السياق فربما كانت كلمة أو جملة أو مقطع سابق أو لاحق يساعد على الفهم بل ربما يغيّره، فوجدت في نقلهم دقّة فائقة تثير الإعجاب والغبطة رغم بعض الملاحظات الطفيفة

في تقطيع النصوص وتقسيمها يمكن معالجتها من خلال مراجعة أصل المصادر.

وقد اقتصروا في **الموسوعة** على نقل النصوص عن المتون ومقابلتها من دون إبداء رأي أو تحديد موقف، فكان لهم فضل إعداد المادّة الأوّليّة في الغالب، ليس إلّا، وكلّ ما جاء في هذه المجموعة من مناقشات وآراء ونتائج واستنتاجات إنّما هي من فضل الله وأهل البيت عليهم السلام عليّ، والحمد الله، وبفضل الله ومنّه وبركة أهل البيت وألطاف مولاي الغريب يمكن الوثوق بما جاء في هذه المجموعة من نتائج لاستنادها إلى النصوص والمتون التاريخيّة، ولما فيها من دفاع عن ساحة مولاي وحبيبي مسلم بن عقيل، ولا يهمّنا بعدها إن رضي عنّا المؤرّخ أو سخط علينا، ما دمنا نطلب الحقّ ورضا الرحمن والأئمّة المعصومين وأوليائهم الأبرار الصالحين، سيّما أنّ المجموعة قد حاكمت النصّ التاريخيّ ضمن ضوابط معلومة مضبوطة مكتوبة ذُكرت في أوّل المجموعة، وأهمّ ما فيها أن لا يؤدّي البحث إلى نتيجة لا تنسجم مع العقائد الحقّة والمرتكزات البديهيّة المسلّمة عند الطائفة المحقّة، أو أنّها تخدش المقدّسات أو تضيّع المظلوميّات أو تخالف كلام أهل البيت المعصومين عليهم السلام بأيّ مستوى بلغنا عنهم.

وقد تحرّيت في بحوث المجموعة كلّها الاحتياط إلى أقصى الحدود،

ومشيت فيها مشي الخائف المتوجّس والحذر المترقّب، وحاولت ما استطعت أن لاأفرض نتيجة على القارئ، وإنّما أعرض عليه المناقشات والنصوص والأدلة، ومواضع الضعف والقوّة، وأترك له الخيار في تبنّي الرأي واقتطاف النتيجة التي تقنعه من خلال أدلّتها وشواهدها، وقد ألحّ عليّ الكثير من إخواني أن أحدّد نتيجة واحدة للبحث أقدّمها للقارئ، فعمدت بعض الأحيان إلى اقتراحها اقتراحاً وتركت الخيار للقارئ الكريم اعتماداً على فطنته ودقّته في متابعة البحث.

وإنّي لأعتذر عن طريقة عرض البحث من خلال كثرة التفريعات واقتناص اللحظات ومتابعتها خطوة بخطوة وتناول العبارات كلمة كلمة أحياناً، وربما تكرار النصّ الواحد لضرورة الاستفادة منه بلحاظات شتّى أو حشد الشواهد لتأكيد الموضوع، فربما كان هذا النمط متعباً للقارئ غير المتخصّص، والعذر أنّ البحث يخاطب ذوي الاختصاص بالدرجة الأولى.

* * * * *

تكاد المجموعة لا تبتّ في الموضوع بتّاً قاطعاً وتذكر الاحتمالات الممكنة فربما كانت مجموع الاحتمالات مقنعة للبعض وربما اقتنع آخرون بمجرّد ملاحظة احتمال أو احتمالين أو مناقشة أو مناقشتين، وعلى العموم فالمرجوّ من القارئ الكريم أن يتريّث في الردّ والقبول ويقرأ

الموضوع كاملاً حتّى يصدر حكمه عليه بالقوّة والضعف تبعاً للأدلّة المذكورة، والمؤرّخ ـ على العموم ـ غير معصوم، وقوله وتحليله وروايته ـ كقول ورواية تاريخيّة ـ غير ملزم.

ويلاحظ في هذه المجموعة أنّها لم تختلق المواقف ولم تعتمد على الخيال العلميّ والقصصيّ، بل حتّى على اللوازم أحياناً، لإثبات حدث أو تصوير مشهد، فإذا كان في نصّ تاريخيّ ثغرات أو مناقشات أو لوازم باطلة، فإنّ البديل الذي يُقدّم مقابله نصّ تاريخيّ آخر ربما يكون أقدم وأوثق من النصّ المناقش فيه، فهو كأنّه عبارة عن ذكر للأقوال وترجيح بعضها على بعض ضمن الضوابط والأصول.

وكمثال على ذلك فإنّ المجموعة ناقشت قصّة الوقوع في الحفيرة، الوارد في **المقتل المشهور لأبي مخنف** كمصدر أوّل، فبعد أن تمّت المناقشة والإشارة إلى الثغرات والأدلّة والشواهد الكافية للتريّث في قبول الخبر أو ردّه من رأس، وناقشت أخبار قبول الأمان والاستسلام و«تمكين العدوّ من نفسه أو من يده»، ذكرت أخبار الأسر بعد الطعنة الغادرة وضربة الأحمريّ، وكثرة الجراحات الخطيرة والنزف والعطش الشديد التي صرعت البطل الهاشميّ كما يُصرع الأبطال في ساحات الوغى والقتال بالاستناد إلى مثل **الفتوح لابن أعثم واللهوف للسيّد ابن طاووس** وغيرها، وبهذا تمّت مناقشة النصوص التاريخيّة التي تشين بالمولى الغريب عليه السلام

وقُوّيت المتون التاريخيّة التي تتحدّث عن نفس الواقعة من دون لزوم تلك المحاذير.

* * * * *

وأخيراً:

أزجي شكري لجميع الإخوة الأطياب الذين تابعوا إصدارات المجموعة قبل أن يُجمع شتاتها وتابعوني وحثّوني على الاستمرار في العمل رغم الموانع والصعوبات والمشاقّ، وأخصّ منهم بالذكر الإخوة الأماجد الذين بذلوا وسعهم في إخراج وطبع هذه المجموعة:

خادم الحسين عليه السلام الحاج هادي الهادوي.

خادم الحسين عليه السلام الشيخ حميد رضا الروحاني.

خادم الحسين عليه السلام محمّد جعفر البياتي الكاظمي.

وأعتذر من سيّدي ومولاي ومليكي غريب الغرباء وسيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام ومولاي الغريب سفير الحسين مسلم بن عقيل عليهما السلام ومن القارئ الكريم عن أيّ قصور أو تقصير، فإنّ مولاي سيّد الشهداء هو رحمة الله الواسعة وهو الرجاء والأمل وشفيع المذنبين ...

ومن العسير أن أغادر هذه الرحاب الطاهرة التي عشتها منذ سنين أتنعّم في جنان سيّد الشهداء وسفيره، غير أنّ أَمَلي أن يُؤذن لي بالبقاء

فيها ولا أحرم منها، فأقضي الأيام الباقية من العمر عبداً ساعياً في طلب رضا مولاه.

علي السيّد جمال السيّد عبد الغفّار أشرف الحسيني

٢٢ / شوّال / ١٤٣٦

محتويات الكتاب

• ناصرة سفير الحسين عليه السلام طوعة الكِنديّة •

المقدّمة ٧

تذكيرٌ مهم ١١

اسمها ١٣

نسبها ونسبتها ١٧

السبب الأوّل: الظروف الخاصّة ... ١٧

المثال الأوّل: زوجة علي بن مظاهر الأسديّ ١٨

المثال الثاني: دلهم زوجة زهير بن القين ... ٢٠

المثال الثالث: المرأة من آل بكر بن وائل ٢١

المثال الرابع: الأسديّ الذي كان ينتظر الحسين عليه السلام في كربلاء ٢٢

السبب الثاني: كونها أمة ٢٣

ولاؤها ٢٥
القول الأول: من حرائر كندة ٢٥
القول الثاني: أمّ ولد للأشعث ٢٧
القول الثالث: ابنها مولى لمحمّد بن الأشعث ٢٧
القول الرابع: من بني هاشم ٢٨
زوجها ٣١
عمرها ٣٧
محلّتها ٤١
القسم الأول: الحيرة ٤٢
القسم الثاني: الكوفة ٤٣
العنوان الأول: لم تحدّد المنطقة ٤٣
العنوان الثاني: حيّ كندة ٤٤
العنوان الثالث: دور بني جبلة من كندة ٤٥
الإشارة الأولى: لم يكن بيتها قريباً من المسجد ٤٦
الإشارة الثانية: بيتها في زقاق ٤٧
صفة الدار ٤٩
صفة الدار من الخارج ٤٩
صفة الدار من الداخل ٥٠

سبب وقوفها على الباب ٥٣
الوقفة الأولى: مصادر لم تذكر وقوفها ٥٣
الوقفة الثانية: لم تكن واقفة على الباب .. ٥٤
الوقفة الثالثة: كانت واقفة على الباب من دون ذكر السبب ٥٥
الوقفة الرابعة: كانت واقفة تنتظر ولدها ٥٦
ملاحظات ٥٨
الملاحظة الأولى: عدم ورود سبب الوقوف في المصادر القديمة ٥٨
الملاحظة الثانية: تحليلات المؤرّخ! ٥٨
كيف حصل اللقاء؟ ٦١
الصورة الأولى: دخل عليها واستجار بها! ٦١
الصورة الثانية: استسقى ثمّ طلب المأوى ٦٣
الصورة الثالثة: طرق الباب ٦٣
الصورة الرابعة: نزل على باب ٦٤
الصورة الخامسة: كانت تنتظر ولدها فأدخلته. ٦٤
الصورة السادسة: جلس فخرجت إليه ٦٥
الصورة السابعة: كانت جالسة فوقف عليها ٦٦
حوار الباب ٦٧
مصادر لم تذكر حواراً ٦٧

مصادر ذكرت الحوار..... ٦٨
الحوار الأوّل: البلاذري..... ٦٨
الحوار الثاني: الطبري، الشجري، المزّي، ابن حجر..... ٦٩
الحوار الثالث: الطبري ٧٠
الحوار الرابع: ابن أعثم..... ٧١
الحوار الخامس: ابن الأثير..... ٧٣
الحوار السادس: نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ٧٤
كلمة عجلان..... ٧٥
التذكير الأوّل: من عرف مسلماً عليه السلام..... ٧٥
التذكير الثاني: الميزان العامّ..... ٧٦
وَلدها ٧٩
ابن من؟..... ٧٩
اسمه..... ٨٠
النصّ على خيانته لضيفه ٨٠
لمن أخبر؟..... ٨١
المصادر التي لم تنسب الخيانة له..... ٨٣
ما هي الضرورة لقبول خيانة ابن طوعة؟..... ٨٥
فرضيّات ممكنة..... ٨٧

موقفها ٨٩
النحو الأول: لم تنصّ على شيء ٩٠
النحو الثاني: الإشارة إلى بعض الدوافع ٩٠
الدافع الأول: الرقّة ٩٠
الدافع الثاني: إلحاح المولى عليه السلام ٩٢
الدافع الثالث: الاستجارة ٩٣
الدافع الرابع: موقف الموالي ٩٤
الدافع الخامس: مولاة بني هاشم ٩٧
الدافع السادس: كانت ممّن خفّ مع المولى الغريب ٩٧
موقفها في الحرب الأخيرة ١٠١
القسم الأول: مصادر لم تذكر القتال ١٠٢
المستوى الأول: الاختصار ١٠٢
المستوى الثاني: الاستسلام ١٠٣
القسم الثاني: مصادر ذكرت القتال ١٠٨
الرواية الأولى: خبر ابن قتيبة واليعقوبي ١٠٨
الرواية الثانية: الخبر المشهور ١١١
دارها ساحة حرب ١١٣
الموقع الأول: الدارة التي يسكنها مسلم عليه السلام ١١٤

الموقع الثاني: داخل دار طوعة ١١٤
الموقع الثالث: خارج دار طوعة..... ١١٥
الموقع الرابع: اقتحموا عليه الدار فأخرجهم مراراً..... ١١٧
الدفعة الأولى: مرّة واحدة..... ١١٧
الدفعة الثانية: مرّتان ١١٨
الدفعة الثالثة: ثلاث مرّات..... ١١٨
الدفعة الرابعة: عدّة مرّات..... ١١٩
الموقع الخامس: قاتل خارج الدار فارساً..... ١١٩
موقف المولى عليه السلام حينما علم بوصول الخيل والرجال ١٢٣
المرحلة الأولى: الاستعداد العامّ..... ١٢٣
الداعي الأول: علمه عليه السلام بشهادته في الكوفة ١٢٤
الداعي الثاني: معرفته عليه السلام بالمجتمع الكوفيّ ١٢٤
الداعي الثالث: إنّه عليه السلام طلبة العدوّ..... ١٢٥
الداعي الرابع: دخول الدعيّ ابن الدعيّ الكوفة ١٢٧
المرحلة الثانية: الاستعداد الخاصّ..... ١٢٧
موقف طوعة ١٣١
الإقدام الأول: إخباره..... ١٣٣
الإقدام الثاني: ناولته سلاحه..... ١٣٤

الإقدام الثالث: فتح الباب ١٣٥
الإقدام الرابع: التلهّف والتحسّر ١٣٦
الفهم الأول: الحسرة والتلهّف ١٣٦
الفهم الثاني: التعجّب ١٣٧
الفهم الثالث: إثارة الحماس ١٣٨
دعاء المولى عليه السلام وبشارته لها ١٣٩
أوّلاً: دعاؤه لها بالرحمة ١٤٠
ثانياً: جزّاها خيراً ١٤٠
ثالثاً: شهادته عليه السلام بالأداء ١٤١
رابعاً: الشفاعة ١٤٢
خامسا: البشارة بالمقام الرفيع ١٤٢
أوّلاً: السياق ١٤٣
ثانياً: منزلة المولى الغريب عليه السلام ١٤٤
خاتمتها ١٤٥
قالوا في طوعة ١٤٩
السيّد حسين البراقي (ت ١٣٣٢) ١٤٩
السيّد المقرّم ١٤٩
الشيخ عبد الواحد المظفّر ١٥١

الشيخ باقر شريف القرشي ١٥١
الأستاذ محمّد نعمة السماوي..... ١٥١
موادّ البحث..... ١٥٣

• الخاتمة •

مختصر في وقائع السفارة..... ٢٠٣
مهمّة مسلم عليه السلام..... ٢٧٧
في الختام..... ٢٨٤